عظة وذكرى

وضعه

الدكتور محمد عبد الحميد بك

مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه

مدير مستشفى عباس وكبير جراحيه سابقاً

طبيب أول بمستشفى الليوب وبها سابقاً

يطلب من ملتزم طبعه ونشره

نجيب مترى

صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م

﴿ أعمال المؤلف ﴾

سر كلومبير

الحمل خارج الرحم

العملية القيصرية

التشخيص الجراحى

العلاج بعد العمليات — مزين بالصور

تعليل النوع — » »

التشريح الجراحى : الجزء الأول مزين بالصور الملونة

العلاج الجراحى : » » » » »

» » : » الثانى » » »

» » : » الثالث » » »

» » : » الرابع » » »

الدروس الصحية : » الاول » » »

الاسعاف الاولى — » » قررته وزارة المعارف

الامراض المعدية — » » » » »

التمريض المنزلى — » » » » »

طب البيت — » » » » »

تربية الطفل — » » » » »

الصور الخيالية لجسم الانسان — » » » » »

أغلاط الجراحين وحوادث الجراحة — » »

القاموس الطبي المصرى — تحت الطبع

التعليم والصحة

السل الرئوى } كلاهما تحت الطبع ، وكلاهما ينشر الآن تباعاً
الادب الطبي } فى مجلة صحة العائلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه خواطر، اجتماعية، صحية، طبية، جرى بها قلمى العاجز على أثر رجوعى من رحلة إلى الاستانة فى صيف سنة ١٩٢٥، ومن رحلة أخرى إلى إيطاليا سنة ١٩٢٦ لحضور المؤتمر الجراحى الدولى السابع فى روما، فالى سويسرة لمشاهدة مصحات الاستاذ روليه وغيرها بليزان، أتشرف بتقديمها، إلى القارئ الكريم، عظة وذكرى

الدكتور

قليوب ديسمبر سنة ١٩٢٦ محمد عبد الحميد

مواد الكتاب

	صفحه
فى الباخرة آسيا	١
جبال لبنان	٣
مساوىء السفر وأمراض السياحة	٧
أغراض الاجازات والسياحات	١١
جزيرة رودس	١٤
وصف الاستانة	١٨
وصف الاستانة أيضاً	٢٢
فوائد المؤتمرات	٢٧
الحديث شجون	٣١
فى الباخرة اسبريا	٣٥
فضل الحيوان على الانسان	٤١
ما هنالك	٤٦
العلاج بالعمل	٥٠
متفرقات	٥٦
موسوليني	٦٤
المؤتمر الدولى السابع	٦٨
الاسعاف الهوائى	٧٢
الاسعاف الهوائى (تابع ما قبله)	٧٦
تعليم الطب	٨٧
التخدير	٩١
تبابى وفيزوف	٩٦
العلاج السماوى	١٠٧
علاج السل بالعمل	١١٣
علاج الاطفال بالشمس	١٢٤
السل نقاد	١٢٩
بيان لا بد منه	١٣٣

عظة وذكرى

(١)

فى الباخرة آسيا

سافرت فى الشهر الفائت[1]، ترويحاً للنفس من عناء الأعمال، قاصداً إلى استانبول، ولا أقول إلى القسطنطينية، مجاراة للترك، لأنى علمت من بعضهم أنهم يكرهون هذا الإسم، وينفرون من ذكره، وقد يتجاهلونه مكتوباً على الظروف وعنواناً للاشارات البرقية. فركبت فى الباخرة « آسيا » وهى من بواخر شركة اللويد ترستينو، وجدير بى ألاَّ أنسى أن أذكر أنها من أحسن شركات الملاحة حرصاً على راحة ركابها وعناية بأمر الغذاء ونظافة البواخر. ولقد تعرفنا بجناب كبير مهندسى الباخرة فتكرم وأرانا شيئاً لم نره من قبل، ذلك هو الجهاز الذى تمخر به الباخرة عباب البحر. ولئن تعجب أيها القارئ مما تراه من ظاهر البواخر الكبيرة من نظام القمرات أو المخادع التى ينام فيها الركاب، ومن تنسيق صالة الأكل وصالة الجلوس وصالة التدخين، وترتيب كل ذلك ترتيباً يلتئم وراحة المسافرين فعجب الجهاز الذى يسير الباخرة تركيباً ونظاماً وإبداعاً ونظافة واتقاناً. ولئن كان لكل شىء قلب فهو لا شك قلب الباخرة. ولئن عنى الأطباء بقلب الإنسان لأن عليه مدار الحياة فكذلك عناية القوم بهذا الجهاز بديع التركيب، ففيه ترى الأفران الكبيرة

(١) نشرت هذه المقالة فى المقطم بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ٩٢٥ وكان السفر فى اغسطس

والمراجل العظيمة التى تدور الاسطوانات التى تحرك المراوح التى تسير السفينة وكذلك ترى الأجهزة التى يعمل بها الثلج والتى يفرت بها الماء فيصير عذباً سائغاً للشاربين ، والمولدات الكهربائية التى تولد الكهرباء لإدارة المراوح الكهربائية وإنارة المركب إلى غير ذلك مما يطول بنا شرحه وليس هذا مقامه ، وحسبى أن أقول لك إنه مما يقتضى أن تسعى جهدك للاطلاع عليه بأول فرصة تسنح لك

سارت السفينة بسم الله مجريها ومرساها من الاسكندرية إلى بورسعيد فيافا ، ولقد نزلنا فى يافا وركبنا سيارة لزيارة القدس ، ولست أقصد من مقالى هذا أن أصف لك أيها القارئ البلاد التى زرتها ، وأشرح لك حالة أهلها وعاداتهم على النحو الذى نحاه حضرة صاحب السعادة احمد باشا زكى فى كتابه « السفر إلى المؤتمر » الذى وضعه منذ اكثر من عشرين سنة ، فقد كان الزمن الذى وضع فيه سعادته هـذا الكتاب يقتضيه لقلة عدد المسافرين من المصريين إلى الخارج إذ ذاك . ولقد كان القوم فى ذلك الوقت يقبلون على مثل هذا الكتاب ، ويقرأونه بتشوق عظيم ، أما الآن فقد تبدلت الحال وزاد عدد المسافرين زيادة عظيمة ، وقل من المصريين المتعلمين من لا يسافر غير مرة إلى بلاد مختلفـة ، ولذلك أرى من العبث أن يكون هذا غرضى من مقالى ، وانما غرضى أن أذكر بعض ما لاحظته من الملاحظات الاجتماعية اليسيرة مما قد يكون فيها شىء من الفائدة عظة وذكرى

من ذلك ما لاحظته فى أثناء زيارة المسجد الأقصى ، فقد رأيت بعض السيدات يؤدين فريضة الصلاة فى المسجد وهو ما لاحظته أيضاً فى أثناء زيارة بعض مساجد الاستانة ، فتذكرت السلف الصالح وما كانت عليه

الصالحات من النساء فى صدر الإسلام وقلت فى نفسى : ترى أتنقرض هذه البقية الباقية فلا يعود الإنسان يراها حتى حيث رأيتها أم يتجدد للاسلام شأنه وبهجته فنطرح العادات الرذيلة التى لا تتفق والتعاليم الإسلامية لنتمسك باهداب العادات الحميدة والفضيلة مما يكون له اكبر الأثر فى النهوض نهوضاً حقيقياً مأمون العواقب

والعجب العاجب ان مدينة القدس الشريف ملتقى آمال اليهود والمسلمين والمسيحيين ، فلكل أولئك فيها مآرب، فاليهود يقدسونها ، والمسلمين فيها المسجد الأقصى وجامع عمر أو جامع الصخرة ، وهو عندنا فى المنزلة الثانية بعد الكعبة الشريفة ؛ وإليه أسرى النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ليلاً . أما المسيحيون فلهم الكنيسة العظمى التى تسمى بكنيسة القيامة وهى التى يحجون اليها فى أيام عيد الفصح تبركاً بها

ولقد نال اليهود غرضهم بعد الحرب العظمى فتمكنوا من المدينة وأخذوا يشيدون المبانى العظيمة فيها ويبنون المدارس ويصلحون طرقها وللوصول إلى المسجد الأقصى وجامع عمر وكنيسة القيامة لا بد للانسان أن ينحدر فى طريق كالسلالم وكلما سار بضعة أمتار انحدر درجة ، مسيرة نحو عشر دقائق أو اكثر ، وهو طريق على جانبيه بيوت وحوانيت قديمة ، وبعضه مسقوف

وفى أثناء رجوعى من الزيارة إلى الميناء مررت (بمنشية) جديدة أنشأها اليهود بالقرب من الميناء حديثاً ، وهى قريبة المشابهة بمصر الجديدة وتسمى بتل أبيب ، ترى فيها الشوارع الواسعة المرصوفة بالمكدام والبيوت والمبانى العظيمة والحوانيت المختلفة ، وبالاختصار يمكنك أن ترى فيها العمران على

قدم وساق ودلائل الرقى والتقدم ظاهرة جلية وهكذا لا يرث الأرض من عباده إلاَّ المجتهدون فيعمرونها ويفيدون ويستفيدون . ولا يفوتنى أن أذكر بهذه المناسبة ان السواق قد أوقف السيارة بمنتصف الطريق ما بين يافا والقدس تقريباً عند شبه قهوة أو فندق حقير لوضع الماء فى برادة السيارة فصعدنا فى هذا المكان لنشرب فنجان قهوة فاستغربنا إذ وجدنا على الجدار تليفوناً فسألنا عن تاريخه فأخبرنا انه من المستحدثات بعد الحرب ولم يكن للقوم به علم قبل ذلك فقلنا آية جديدة على ما حدث من التحول

---

(٢)

جبال لبنان

وبعد يافا نزلنا فى حيفا . وأخذنا سيارة لصعود جبل الكرمل . وارتفاع قمته نحو الفى قدم . والجبل عاليه ثياب خضر من الصنوبر والزيتون وغيرهما من الأشجار المختلفة . وهو خصب ومشهور فى التاريخ . ويقال إنه مذكور فى العهد القديم . وأظن أنه لا يقل عن جبال لبنان فى جمال المنظر ولطافة الهواء

أما جبال لبنان وما أدراك ما جبال لبنان ، إنها تلك الجبال « التى لم تبخل عليها الطبيعة بضرب من ضروب الجمال » والتى قامت شركة مصايف لبنان تدعو المصريين الى الاصطياف فيها وتبين لهم مزاياها ، وتشرح لهم طرق الوصول اليها براً وبحراً ، وترشدهم بالاختصار الى كل ما يحتاجون اليه فى مدة إقامتهم فيها . ولا أنكر انى قبل الذهاب الى لبنان كنت أحسب ما تعمله الشركة من طرق الترغيب مبالغاً فيه لتحويل المصطافين الى تلك البلاد

أما وقد رأيت ربوع هـذه الجبال واشرافها على البحر ، وشاهدت مناظرها الجميلة واستنشقت هواءها العليل ، وشربت من مائها العذب ، أقول وقد فعلت كل ذلك إن ما تفعله الشركة من طرق الترغيب أقل مما يجب أن يعمل لأن الموقع والمنظر والهواء والماء ؛ كل أولئك من المزايا التى لا يستهان بها والتى يصح من أجلها أن يجعل المصريون هذه الجبال مصيفاً لهم

ولا يعيب هذا المصيف إلّا ما ينقصه من بعض وسائل الراحة . وأهمها مسألة دورة المياه فى الفنادق

وقد يسوءنى أن اذكر انى تناولت الغذاء فى أحد فنادق بيت مرى ، وكان شكل الفندق من الخارج أنيقاً وكان القائمون بأمره يهتمون بتوفير أسباب الراحة للنازلين فيه . ولكن دورة المياه لا تتناسب وحالته مطلقاً . ولا يخفى ما لدورة المياه من الشأن فى تهيئة أسباب الراحة

ولقد بلغ من عناية القائمين بأمر الفنادق فى البلاد الأجنبية أن جعلوا لكل غرفة حماماً بجميع مستلزماته . ولقد لاحظت من صاحب الفندق ، والحق يقال ، أنه يريد أن يستميل النازل فى فندقه بكل ما فى وسعه ، متفانياً فى إرضائه بكل ما فى طاقته ، معيراً اهتمامه لكل ما يبدى اليه من الاقتراحات . وهى صفات أقل ما فيها أنها تبشر بأن القوم فى سبيل الكمال سائرون ، وسنراهم ان شاء الله موفقين

وفى جبال لبنان ينابيع وعيون كثيرة ، منها ما حلل ماؤه وعرف ما فيه من الاملاح والعناصر ، ومنها ما لا يزال تركيب مائه مجهولا . ولا أظن أن هذه الينابيع والعيون تقل شأناً عن كثير من الينابيع والعيون التى فى البلاد الأجنبية . وجدير باخواننا اللبنانيين أن يهتموا بها اهتماماً عظيماً وان يعملوا

على تحليل مائها تحليلاً دقيقاً وان يتعرفوا ما لها من المزايا الدوائية ، ولا بأس من الاستعانة بالمتوفرين على هذه المسائل من الاجانب . ويمكنهم بعد ذلك أن ينشروا نتائج أبحاثهم فى الجرائد والمجلات وفى كراسات توزع على الأطباء مجاناً . ويجب أن تشيد فى الوقت نفسه الفنادق الكبيرة فى المواضع المناسبة بالقرب من الينابيع والعيون التى تنضح فائدتها وتجهز هـذه الفنادق بجميع وسائل الراحة . فان فعلوا ذلك ولا إخالهم إلاّ فاعلين باذن الله فلهم أن يتتبعوا خطوات القوم فى البلاد الراقية فيما يعملون من وسائل الترغيب الكمالية من الملاهى والمراسح والحدائق وأجواق الموسيقى وغير ذلك مما يطول شرحه

أليس من الأسف العظيم ألا يجد الانسان بالقرب من شاغور حمانا الذى وصفه لامارتين بقوله « ولقد رأيت جبال الالب فى سويسرا وشاهدت الهضاب المختلفة فى ايطاليا ، وتنقلت بين أماكن الاصطياف فى البيرنة فى اسبانيا ، لكن مشهد وادى حمانا قد محا كل تلك التصورات من مخيلتى فوقفت أمامه منذهلاً خاشعاً » أقول أليس من الأسف العظيم ألا يجد الانسان بالقرب من هذا الشاغور فندقاً يمكنه أن يقيم فيه ؟

سبقنى أحد أصدقائى الى زيارة هذا الشاغور وأراد أن يصفه لى ويوصينى بألا أنسى زيارته وأنا بلبنان فارتج عليه ولم يستطع إلاّ أن يقول لى : الشاغور — الشاغور — الشاغور . فاعتراه ما اعترى ذلك الشاعر القدير الذى رأى شلال نياغرا فاعجبه جمال منظره وراعه حسنه فأراد أن يصفه فارتج عليه ولم يستطع إلاّ أن يقول نياغرا — نياغرا — نياغرا

هذا الشاغور ليس بجانبه إلاّ قهوة حقيرة ما جلست عليها إلاّ حباً بالتمتع بالمنظر الجميل

والمشكل أن المصريين لا يقبلون على لبنان ويتخذونه مصطافاً لهم إلاّ إذا توفرت لهم من أسباب الراحة ما يجدونه فى المواضع الأجنبية ، وأن اخواننا اللبنانيين قد لا يقدمون على تهيئة أسباب الراحة لما تقتضيه من النفقات العظيمة إلاّ إذا رأوا إقبالاً من المصريين وغيرهم . فكأن الاقبال مرتبط بالاقدام وكأن الاقدام متوقف على الاقبال . والرأى عندى لحل هـذا المشكل أن يتساهل المصريون اجتراء بما فى لبنان من المزايا الطبيعية التى لا يستهان بها وان يقدم اللبنانيون على توفير أسباب الراحة اجتراء ليس وراءه إلاّ الخير العظيم والنفع العميم

وقد يسر الجمهور المصرى أن يعرف أن أهالى فلسطين وسورية لا يرفضون التعامل بأوراق النقد المصرية وقد تكون عندهم هذه الأوراق أحب اليهم من أوراقهم

---

(٣)

مساوئ السفر وأمراض السياحة

غادرنا لبنان ووصلنا الى اسكندرونة ، ومنها ذهبنا الى أنطاكية ، وهى على بعد ساعتين ونصف ساعة بالسيارة ، وسرنا بعد أنطاكية فى طريق يرتفع تدريجاً ، وتحفه الحدائق الغناء من الجانبين مسافة نصف ساعة تقريباً ، فاذا نحن فى موضع يسمى حربية ، وهو غاية فى الجمال لأنك ترى فيه الماء يخدر من جملة عيون فى وسط خضرة من أشجار مختلفة ، ولست أستطيع أن أصور لك جمال هذا المنظر وحسبى أن أقول لك أنى وقفت أمامه مأخوذاً من فرط اعجابى به

ولقد بدأنا نشعر منذ ما وصلنا الى هـذه البلاد ، بشيء من الغربة ، لا لأننا نزحنا عن الوطن، فقد كنا كذلك أيام كنا فى فلسطين وسورية ، ولكن لأننا رأينا القوم فى اسكندرونة وانطاكية يتكلمون باللغة التركية ونحن نجهلها جهلاً تامًّا ، أما نحن فنتكلم باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسوية ، وهم يجهلونها جهلنا باللغة التركية . ولم يكن هناك سبيل للتفاهم الاَّ بواسطة ترجمان يتقاضى أجراً عن عمله ، هـذا الى أنه كثيراً ما يضاعف نفقات السفر بما يحاول أن يتقاضاه من السمسرة ، وهذا مما يجعل جهل المسافر بلغة البلاد التى ينتقل اليها ، فى أثناء سفره أو سياحته ، من مساوئ السفر أو السياحة

ولسائل أن يسأل ، والشيء بالشيء يذكر ، هل للسفر أو للسياحة مساوئ فأقول إن للسفر أو السياحة مساوئ كثيرة ، وكذلك لها أمراض يسميها القوم بأمراض الاجازات أو السياحات ، فمن المساوئ الجهل بلغة البلاد التى يسافر اليها الانسان على نحو ما ذكر ، واختلاف العادات والأخلاق اختلافاً عظيماً كأن يضطر الرجل الى لبس القبعة وهو فى البلاد الأجنبية ، بدل الطربوش ، وكأن تضطر السيدة المصرية المسلمة الى الخروج والسير سافرة على غير عادتها وغير ذلك مما يطول شرحه . ومنها ان الانسان قلما يستطيع أن يسافر هو وسائر أفراد أسرته الى البلاد البعيدة ، وهذا مما يدعو الى قلق كل فريق وانشغال باله على الفريق الآخر فى مدة السفر

ويصح أن أذكر بهذه المناسبة ما يذهب اليه بعضهم من أن خير طريقة لتغيير الظروف النفسية تغييراً كاملاً والاستفادة من السفر أن يسافر الانسان وحده بغير أن يصحب معه أحداً من أسرته أو أحداً من أصدقائه . وخير مثال لذلك السير هنرى هولاند الذى سافر الى الخارج خمسين دفعة فى خمسين

سنة اذ كان يسافر شهرين فى كل سنة منفرداً غير متبع المثل المعروف « خذ الرفيق قبل الطريق » وكانت عادته أن يأخذ الرفيق من الطريق معتمداً على الظروف والمصادفات . ويقال إنه انتفع بحياته بخير ما يمكن أن ينتفع . ومن المساوىء صعوبة الرجوع من البلاد البعيدة عند إرادة الرجوع بسبب ازدحام الركاب فى البواخر وفى قطر السكك الحديدية . وقد يضطر المرء الى اقتضاب السفر أو السياحة لأسباب قاهرة تقتضى رجوعه على جناح السرعة فلا يتيسر له ذلك إذا كان السفر بعيداً

ويمكن اتقاء هذه المساوىء كلها أو بعضها بحسن اختيار المصيف . ولقد كنت مسوقاً بهذه الاعتبارات كلها حينما نصحت للجمهور المصرى فى المقالة الثانية من هـذه المقالات أن يفكر فى مصيف جبال لبنان إذا أراد الاصطياف فى خارج القطر . فاللغة واحدة ، والعادات والأخلاق تكاد تكون متشابهة . ولقربه وسهولة الوصول اليه والرجوع منه يمكنك أن تسافر اليه للاصطياف أنت وأسرتك اذا أردت بزيادة نفقاتك زيادة يسيرة عن اصطيافك فى رمل الاسكندرية مثلاً . والمصيف القريب مزية التمكن من الاشراف على العمل اذا لم يقصد الانسان الى الانقطاع عنه تماماً . وعيب هذه الطريقة أن الانسان لا يستفيد من إجازته أو من اصطيافه الفائدة التامة لعدم انقطاعه انقطاعاً تاماً عن الوسط الذى هو فيه وتغيير الظروف تغييراً تاماً

أما أمراض الاجازات أو السياحات فيمكن تقسيمها قسمين : قسم تحدث فى أثناء الاجازة والسفر وينشأ عما يطرأ من التغيير فى ظروف المعيشة ؛ وقسم يحدث عقب انتهاء الاجازة والرجوع من السياحة ويتصل سببه بها .

وأمراض القسم الأول هى ما يأتى :

الامساك بسبب ضرورات السفر، والنزلات المعدية المعوية بسبب اختلاف الطعام ونظامه ، والهدام وهو دوار البحر من ركوب البواخر ، والتعرض للأمراض المستوطنة فى البلاد التى يقيم فيها المسافر، وتمدد القلب من مشاق السفر وصعود المرتفعات والاستحمام فى البحر أو السباحة فيه ، ولا سيما ذلك اذا كان القلب غير سليم

وأمراض القسم الثانى هى ما يأتى :

النزلات الأنفية والحلقية والصدرية من السكك الحديدية والنوم فى عرباتها ولذلك يفضل بعضهم قطع المسافات الطويلة بالسيارة اذا كان الجو مناسباً . وبذلك يمكن الاستغناء عن سكة الحديد . ومن أمراض هذا القسم التعرض للبرد عقب الرجوع من السياحة أو السفر مباشرة بسبب تلاشى المناعة المكتسبة من التلقيح المتقطع المتكرر غير المدرك مما يتم بما قد يكون فى هواء المدن من المكروبات المختلفة : وتتلاشى هذه المناعة بسبب نقاوة الهواء الذى يستنشقه الانسان فى مدة سياحته . وكلما كانت المدة أطول زاد التعرض . ويقال إن المشتغلين من الأطباء بتشريح الجثث يصبحون بعد عودتهم من الاجازات والسياحات اكثر تعرضاً للعدوى بالدمامل وغيرها ، والسير جيمس باجيت من أنصار هذا الرأى لأنه يعتقد أن الجراح يقل تعرضه للعدوى بتعرضه اليومى للصديد ويزيد استعداده للعدوى اذا لم يحصنه التعرض المستمر للصديد . وعلى هذا الرأى كثير من مشاهير الأطباء

(٤)

أغراض الاجازات والسياحات

لك ، أيها المسافر ، أن تختار احدى طريقتين :

(١) فإما أن تذهب سنة بعد سنة لمصيف قد اخترته وألفته فاصبح لك وطناً ثانياً تضمن فيه ما يهمك من وسائل الراحة والسرور

(٢) وإما أن تذهب كل سنة الى بلاد جديدة لم يسبق لك العهد برؤيتها فتزداد اطلاعاً وتتسع دائرة معلوماتك ومعارفك اذ ترى ما لم تره عينك ، وتسمع ما لم تسمعه أذنك ، وتلم بما لم يخطر على قلبك . وهى الطريقة التى تناسب من كان فى ظل الشباب وربيع العمر ، ممتلئاً قوة ونشاطاً ؛ لانه لا يتعب ولا يضجر من منظر لم يسره الا ويسارع الى منظر يسره . أما الطريقة الأولى فتوافق من طوى مراحل الشباب وكاد يبلغ ساحل الحياة . واذا اتبع الإنسان هذه القاعدة جمع بين الطريقتين بتناسخ الملوين وتعاقب الجديدين . وإنى وان علانى المشيب الا أن معين الشباب لم ينضب ولذلك لم أجرب الا الطريقة الثانية وقد اكون من المتنطعين فيها ، مستأذناً العلماء فى استعمال هذه الكلمة لانها أكثر ما تستعمل فى الدين خاصة فيقال تنطع فى الدين أى توغل فيه وتعمق . ذلك لأنى إذا دخلت بلداً حاولت اختراق شوارعه وزيارة أغلب النواحى والضواحى ومشاهدة كل ما يهم الاطلاع عليه من الحدائق والآثار المختلفة . فاذا فعلت ذلك انتقلت الى بلد آخر وهكذا . وانى أجد للنفس من ذلك ترويحاً لها من عناء الاعمال وصرفاً لها عما ألفته من جس النبض ورؤية اللسان ، وقرع الصدر والبطن ، وإعمال المشراط والمسبار ، وغير ذلك مما يعمله

الطبيب منا فى أثناء عمله صباح مساء وليل نهار بشكل راتب أى دائم ثابت لا يختلف فعمل اليوم عمل أمس وعمل غد . وهذا مما يسوقنى الى الكلام فى الاسفار والسياحات أو الاجازات من الوجهة الطبية الصحية . وهى ترمى الى غرضين مختلفين : فاما الغرض الأول فهو ترويح النفس والتنزه ، وأما الغرض الثانى فهو اغتنام الراحة والتجديد

ويتم الغرض الأول بتغيير الظروف ، وبدفع النفس عما ألفته من الأعمال ، والهائها بشىء آخر تجد فيه لذة وسروراً . وتأثير هذا الغرض نفسانى لأن الانسان بخروجه عن المألوف من عمله يريح جزءا من المخ ليروض جزءا آخر رياضة صحية . وطرق الترويح كثيرة مختلفة فهى إما عقلية أو بدنية ، وإما فى داخل البيت أو فى خارجه . وهى لا بد أن تختلف باختلاف الاشخاص أمزجة وأذواقاً وأعمالاً . فالموظف الذى تقتضى أعماله حياة جلوسية يجد الترويح فى الرياضة البدنية من الالعاب الرياضية المختلفة ، ومن المشى والجرى والصيد والسباحة ، وركوب الدراجات والسيارات والعربات ، الى غير ذلك مما يتجه به النشاط المخى الى جهة أخرى . أما العامل الذى يعمل عملاً بدنياً فترويح نفسه يكون بالمطالعة أو بالكتابة مما يرتاح به بدنه ويتغير فيه اتجاه النشاط المخى

وأما الغرض الثانى وهو اغتنام الراحة والتجديد فجزء من نظام الحياة كما يتضح من ضربات القلب التى هى عبارة عن عمل وراحة بصفة نظامية ، وكما يتضح من حاجة الانسان الى النوم ، وكما أن الناس يختلفون فى مقدار ما يحتاجون اليه من النوم فكذلك هم يختلفون فيما يحتاجون اليه من العطلة السنوية . والمعتاد تقديرها بشهر على الأقل وشهرين على لأغلب . ويقول بعضهم إن العطلة الأسبوعية النظامية قد تغنى عن العطلة السنوية . واكثر

ما تلزم الراحة للنشاط المخى لا للنشاط البدنى . أما النشاط البدنى فيكاد يكون ضرورياً للراحة العقلية ، ومن أهم ما يلزم للراحة العقلية تغيير الوسط وتغيير الظروف تغييراً تاماً . ويشبه بعضهم النشاط المخى فى المخ بكتابة على السبورة وهى اللوح يكتب عليه ويقول ان الراحة العقلية لا تتم إلاَّ اذا عمد الانسان الى طلاسة وهى الخرقة يمسح بها اللوح فيمحو ما على السبورة من الكتابة محواً تاماً . ولا يتم المحو بالطلاسة الاَّاذا نزح الانسان عن وطنه وانقطع عن عمله المألوف

ولقد نلت هذين الغرضين معاً بنزولى فى مرسين وهى الميناء الذى رست فيه الباخرة بعد اسكندرونة ، فاخترقنا شوارعها بسيارة وسألنا عما يمكن أن نراه فيها فدلونا على معبد قديم يسمى بمعبد حكمون ، فذهبنا اليه بالسيارة فاذا بنحو ١٦ عموداً أثرياً على شاطىء البحر هو كل ما بقى من هذا المعبد ، وفى اثناء سيرنا الى هذا المعبد ، شاهدنا أن الأرض خصبة جيدة ، صالحة للزراعة لا تنقصها إلاّ الأيدى العاملة ، والمشروعات النافعة ، لأننا رأينا نهراً صغيراً بالقرب من هذا المعبد يذهب ماؤه الى البحر عبثاً على حين الحاجة الشديدة الى الماء ، وهذه هى حال اضاليا وهى التى نزلنا فيها بعد مرسين ، فقد شاهدنا ونحن بالباخرة وعلى بعد ساعتين منها تقريباً ماء عيونها المختلفة وهو يتدفق فى البحر . ولما تفقدنا البلد وجدنا القوم قد استعملوا انحدار هذه المياه لادارة طواحين مختلفة لطحن الغلال وذقنا ماء بعض هذه العيون فاذا هو عذب زلال خالص لا ملوحة فيه وبارد كأنهُ مثلوج . ورأينا بالقرب من هذه العيون جملة حدائق تنقصها الأيدى العاملة ، ولا أظن أن دائرة المشروعات النافعة التى يمكن أن تمتد اليها يد الإصلاح ، مع انحدار المياه انحداراً قويّاً كما رأينا

تحصر فى بضع طواحين . ولقد استخلصت مما رأيت فى مرسين واضاليا أن تركيا فى أدوار حياتها القريبة التى كانت تنكمش فيها تدريجاً بسبب ما فقدته من أطرافها المتنائية أقول إن تركيا فى هذه الادوار كانت كالطبيب العام الذى له دراية بجميع فروع الطب دراية تجعله طبيب ضرورة يعالج بها الأمراض المختلفة البسيطة علاجاً بسيطاً . أما العلاج التفصيلى فلا يحسنه ولا هو من عمله . أما تركيا الحاضرة بعد أن نقصت أطرافها وانحصرت فيما وصلت اليه ، فأرجو أن يكون مثلها كمثل الطبيب المتوفر على فرع واحد من فروع الطب ينصرف اليه بكل همته ويتقنه اتقاناً يبلغ حد الكمال

---

(٥)

جزيرة رودس

لقد استدرجتنى الملاحظات التى ذكرتها فى هذه المقالات الى تضمينها كثيراً من الفوائد الصحية بشأن الأسفار والسياحات ولم يبق الا النصيحة الآتية اذكرها اتماماً للفائدة قبل استطرادى الى جزيرة رودس التى انتقلنا اليها بعد مغادرتنا اضاليا . والنصيحة هى :

قد يستبد المرء برأيه ويتبع هواه فلا يستشير طبيبه مثلا ، أين يمضى اجازته ، ومتى يأخذها ، وكيف يستغلها استغلالا يعود عليه بالفائدة . ويعتمد فى كل ذلك على نفسه على غير ما يفعل اذا كان مريضاً يبتغى الشفاء لعلته فى أحد الينابيع المعدنية ، فانه وقتئذ كثيراً ما يفزع الى الطبيب يستكتبه

« شهادة بالأجازة » اذا كان موظفاً ثم يستوصفه لدائه عن خير الينابيع . أما فى غير أحوال المرض فالمعتاد أن يسترشد الانسان بشركات السياحة والسفر كشركة كوك وشركة مصايف لبنان مثلا . وقد يكون للمرء بعض العذر فى هذا الاهمال لانه يحسب الإجازة خروجاً من السجن، وانطلاقاً من كل قيد ورجوعاً الى حياة الحرية، ومن ذا الذى يرضى ان يقيد نفسه وهو حر . وما كان ذلك ليمنع القائمين بامر الصحة العامة والعاملين بكل جهدهم على تحسينها أن يهتموا بهذه المسألة اهتماماً كبيراً لما لها من التأثير العظيم . وبدأ القوم فى البلاد الراقية يشعرون بضرورة استشارة الأطباء حتى وهم أصحاء فى أمر الأجازات وأوقات الراحة . وأصبحوا يسألون متى يأخذونها وأين يمضونها، وكيف يستغلونها، الى غير ذلك من الأسئلة التى قد تُكسبهم كل ما فى الأجازات من الفوائد . نعم قد أصبحت هذه الاستشارة ضرورية لاتقاء كثير من المتاعب

ولأضرب لك مثلاً، موظفاً من متعودى الحياة الجلوسية يقوم بإجازة فيعمد مباشرة ودفعة واحدة إلى رياضة بدنية عنيفة، بغير أن يستدرج قلبه وعضلات بدنه إلى هذا الجهد فانه كثيراً ما يتأذى ولا سيما اذا كان كبير السن

أما إذا كان شاباً قوى البنية لا يتأثر بهذه الرياضة العنيفة الفجائية، بما فى قلبه من القوة الاحتياطية فلا أقل من أن يعود الى عمله بعدها وهو مضنى من التعب لا يزال يميل الى الراحة، هذا إلى أن الإنسان قد يضطر فى أثناء سياحته وسفره الى الصعود الى أماكن مرتفعة أو إلى القيام ببعض أعمال شاقة، وهذه كلها مما يقتضى تقليل خطرها بالفحص عن حالة المسافر قبل السفر وتعرف حالة قلبه وحالة الضغط الدموى عنده وحالة أوعيته الدموية الى

غير ذلك من الأشياء التى يمكنك أن تعتبرها « جرداً » لقواه للسير بمقتضاه ومن مزايا هذه الاستشارة تزويد المسافر أو السائح بالنصائح الضرورية كاتقاء التعب ، وكاتقاء الافراط فى الأكل اجابة لتنبه الشهوة فى اثناء السفر وكاتقاء الاضطراب والقلق مما يقتضيه الانتقال من مكان الى مكان

أما جزيرة رودس التى وعدتك بالكلام عليها فى البحر الأبيض المتوسط والى الجنوب والغرب من شاطىء آسيا الصغرى ، وعلى بعد اثنى عشر ميلاً منها ، وطولها نحو خمسين ميلاً وعرضها نحو عشرين ، وتخترقها سلسلة جبال يبلغ ارتفاعها نحو أربعة آلاف قدم ، وأرضها خصبة مهملة ، وتروى أراضيها بطلمبات تدار بالمراوح الهوائية ، وهواؤها عليل ومنظرها جميل . وهى من الجزر التى يقصد اليها الأروام للاصطياف فيها ، فقد قابلنا كثيراً منهم وكانوا يكلموننا باللغة العربية ، وهى مصيف جميل يصح أن يصطاف فيه المصريون لقربه من مصر ، ومما يسهل الاقامة فى هذه الجزيرة الفندق الكبير الذى عزم الايطاليون الذين يحتلونها الآن على تشييده هناك على ما سمعنا من أهل الجزيرة . وهى من الجزائر التى فقدها الأتراك فيما فقدوا . والفواكه فيها كثيرة جيدة رخيصة . وكان فى الجزيرة تمثال هائل كبير الحجم بالقرب من الميناء ويقال إن طوله كان يتفاوت بين ٩٠ قدماً و ١٢٠ قدماً . وكان من عجائب الدنيا السبع . ولسوء الحظ سقط هذا التمثال بعد إقامته بنحو ست وخمسين سنة بزلزلة ، وبقى التمثال الساقط فى مكانه زمناً طويلاً حتى باعه قائد عربى لتحويل معدنه الى نقود على ما سمعنا

ولا يفوتنى أن أذكر اننا رأينا فى رودس كنيسة يذهب اليها بعض فقراء الأروام للاقامة فيها بضعة أيام مجاناً كأنها تكية فاذا ما غادروها تبرعوا

للقائمين بأمرها بما تجود به أنفسهم . وسارت السفينة من رودس الى أزمير وهى من أقدم مدن الأناضول ، ولها تاريخ قديم لا محل لذكره . أما تاريخها الحديث فلا يزال عالقاً بالأذهان ، فقد أعطتها معاهدة سيفر هى والايالة التى هى عاصمتها الى الأروام مما اضطرهم الى ابقاء جيش كبير لاحتلالها ومنع الاعتداء عليها ، وقام هذا الجيش بمهاجمة الأتراك ودفعهم الى جوف الأناضول. وساد أزمير بعد ذلك سكون كالذى يسبق العواصف وينذر بحدوثها . ولقد حصلت هذه العواصف فعلاً فى أغسطس سنة ١٩٢٢ إذ قام الأتراك أو الكماليون على الأصح بهجوم شديد ، فطردوا الأروام ودخلوا المدينة منصورين فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢ . وللأسف لم تدم لذتهم بالانتصار طويلاً لأن النار قد شبت فيها فى مساء ١٣ سبتمبر ، أى بعد دخول الأتراك فيها بأربعة أيام ، وقدرت الخسارة بأربعين مليوناً من الجنيهات ، ولقد كانت آثار الحريق أهم ما شاهدناه فى المدينة . ولقد رأينا أيضاً فيها بعض آثار التجديد الذى يقوم به دولة الغازى مصطفى باشا كمال

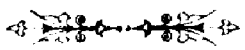

(٦)

وصف الاستانة

تركنا أزمير وولينا وجهنا شطر الاستانة فاجتزنا فى سيرنا الدردنيل الذى جعلت له الحرب العظمى شهرة تاريخية لا تنسى ، فبحر مرمرة، ثم وصلنا الى البسفور؛ وهو البوغاز المشهور بجمال منظره ويصل البحر الاسود ببحر مرمره ويفصل الشاطىء الاسيوى عن الشاطىء الأروبى . وفيه تسير بواخر صغيرة

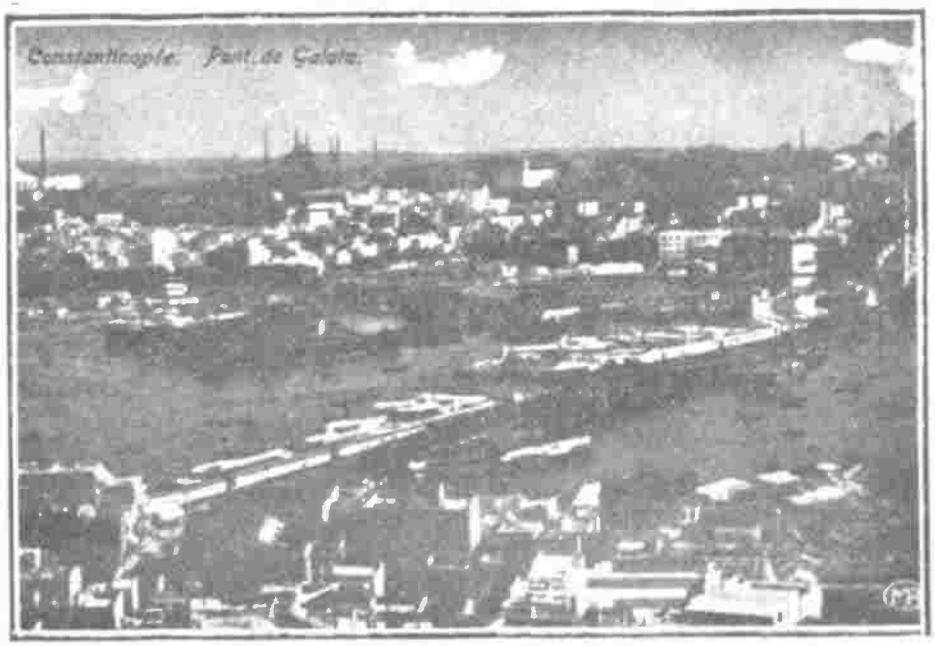

(١) الاستانة — جسر غلطه

ذهاباً وايابا لنقل المنتقلين من مكان الى مكان . ولهذه البواخر شأن كبير فى تعمير جانبى البسفور وتسهيل مواصلات السكان . ويكاد يكون شأنها هناك كشأن مركبات الترام فى تعمير ضواحى القاهرة

وصلنا الى الاستانة فى مساء الأحد فأخذنا سيارة وانتقلنا تواً الى فندق طوقتليان الذى فى طرابيه وهى إحدى المحطات التى ترسو فيها هذه البواخر . ولقد وجدناها تموج بالناس وخيل الينا كأننا فى سان استفانو برمل اسكندرية لولا ما رأيناه هناك من تساوى عدد السيدات المتنزهات بعدد الرجال المتنزهين تقريباً ولولا ما رأيناه من أن السيدات سافرات الوجوه فلما يستطيع الانسان أن يميز بين المسلمات وغير المسلمات . ويكاد أغلبهن يضعن على رأسهن طريحة يجمعن أسفلها شعر الرأس فلا يكاد يبدو منه شيء . وأصبح أغلبهن يحلقن الشعر من الخلف . وقد تكون الطريحة من قماش الفستان نفسه . وان لم تكن كذلك فمن لون يتفق ولونه . ولست أدرى ما حكم الشرع فى حلق الشعر بهذا الشكل؟ وهل حالقات الشعر بهذا الشكل يدخلن فى من قال فى حقهن النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله المجمات من النساء هن اللواتى يتخذن شعورهن جمة تشبهاً بالرجال » والجمة من الشعر اكثر من اللمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن. ويقال إن الجمة هى الشعر اذا بلغ المنكبين . والذى يزيد فى حيرتى حديث عائشة رضى الله عنها حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وقد وفت لى جميمة أى كثرت والجميمة تصغير الجمة . وكانت ليالى الفندق ساهرات راقصات ولا سيما ليالى الأحد والاثنين أى مساء السبت والأحد . وكنا نرى السيدات يرقصن مع الرجال ولا ندرى أفيهن مسلمات أم لا . واكبر الظن أن فيهن مسلمات واعتقد ، ولست أبالى أن يقال إنى من المحافظين أو الرجعيين ، أن بدعة الرقص هـذه بدعة ضالة وقانا الله شرها نحن معاشر المصريين والمصريات . أما مسألة السفور فمن العبث الكلام فيها ، لأنك إما ان تحسب السفور من مظاهر المدنية

ومقتضياتها فاذكرك بقول دولة الغازى مصطفى كمال فى النادى التركى فى اينه بولى مساء ٢٧ اغسطس الماضى فى خطبته « لا فائدة من مقاومة سيل المدنية المتدفق فانه لا أمان لهذه المدنية التى تخرق الجبال وتسخر الاجواء وترقب النجوم التى لا تنظر بالعين كما تنظر سائر الأشياء وانه من العبث مقاومتها وهى التى تنير سبل المباحث العلمية وتبسط الحقائق بأفكار القرون الوسطى فان كل أمة تحاول أن تثور على هذه الحالة لا بد أن تصبح أسيرة ذليلة اذا لم تمح »

وإما أن تحسب السفور بعيداً عن المدنية ووقتئذ لا يكون الفوز لأنصار الحجاب . ويصح أن أذكر بهذه المناسبة ما لا بد أن يذكر مما لاحظته وذلك أن الرجال أو إن شئت فقل ان الشبان يغضون من أبصارهم وان السيدات يغضضن من أبصارهن غضاً كأنه منهم ومنهن سجية — غضاً يدركه الانسان بقليل من الملاحظة — غضاً لو رآه أنصار الحجاب عندنا لأصبحوا من أنصار السفور . وبودى أن أسهب فى هذا الموضوع لأن فى النفس حاجة ، لكن فيك فطانة تغنى عن الاسهاب . وقد يتمادى الرجال فى الغض من أبصارهم حتى أنهم يتجاهلون وقوفهم أمامهم أو بالقرب منهم فى البواخر الصغيرة التى ذكرتها وفى مركبات الترام فى أثناء الازدحام فلا يقوم الرجل لتطمئن السيدة فى مجلسه اتباعاً للعادة الأجنبية المحمودة أو اتباعاً لما قد يشاهد فى مصر اذا كانت السيدة غادة حسناء لا عجوز شمطاء . ولست أدرى لم يقصر الأدب التركى عن الأدب الافرنجى فى هذا الاحترام . وجدير بى ألا أنسى أن أذكر لك نوعاً غريباً من الرياضة البدنيـة شاهدته ذات يوم وأنا جالس فى الفندق فى شرفة تطل على البسفور . فقد رأيت سفينة بخارية

صغيرة يمتد من مؤخرتها حبل يبلغ طوله نحو خمسة أمتار مربوط فى طرفه لوح مستطيل من الخشب واقفة عليه سيدة بلباس البحر وممسكة بكلتا يديها حبلا آخر ممتداً من مؤخرة السفينة أيضاً . رأيت هذه السفينة سائرة فى البحر بسرعتها الاعتيادية تجر وراءها اللوح الذى عليه السيدة وكانت تكيف نفسها وتساير حركات اللوح فى ملطم الامواج فكنت أراها تارة تنحنى إلى الامام

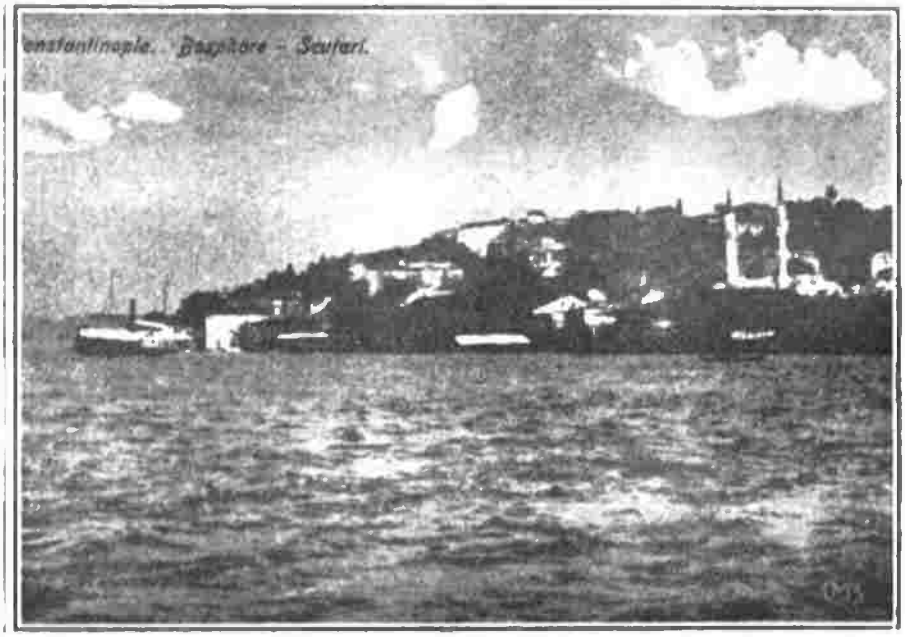

(٢) منظر من مناظر البسفور — الشاطىء الآسيوى

وتارة تدفع نفسها إلى الوراء ، وتارة تميل ذات اليمين وتارة ذات اليسار . فاذا اشتدت الأمواج واضطرب اللوح غمرها الماء واختفت عن الأبصار . وقتئذ كنت أرى السفينة تقل سرعتها وتكاد تقف وقد تقف الى أن يطفو اللوح وتعلوه . ولبثت السفينة فى سيرها والسيدة فى رياضتها على نحو ما ذكرت نحو نصف ساعة كان المنظر فى أثنائها مما يسر الناظرين

(٧)

فى وصف الاستانة أيضاً

هذه هى آخر مقالاتى فى هذا الموضوع . وسأقص عليك فيها ما بقى من ملاحظاتى التى لاحظتها فى أثناء اقامتى بالاستانة . ولقد كفانى المقطم الأغر مؤونة التطويل بما ذكره قريباً من مظاهر التجديد وعوامل الاصلاح وكلها تنحصر فى محاولة التشبه بالغربيين لباساً وزياً وأخلاقاً وطلباً للعلى بجميع

(٣) جامع أياصوفيا

وسائله . ومن الغريب قيام بعض المصريين لانتقاد ما يعمله الترك كأننا فرغنا من اصلاح شئوننا ولم يبق الا أن نهدى غيرنا سواء السبيل . أليس من حسن الاسلام أن نترك مالا يعنينا ونهتم بما يعنينا ؟ وحسبهم شرفاً أنهم

يقولون مايفعلون ويفعلون مايقولون . ولاأزيدكم علماً بما نحن فيه منهمكون . ولأبادر الى ذكر الملاحظات مخافة أن أقع فى ما وقع فيه غيرى لأنى ما فرغت من اصلاح شئونى حتى يصح أن أتعرض لشئون غيرى . وهاهى الملاحظات :

عزمنا على التوجه لجزيرة برنكيبو . وهى اكبر جزائر الأمراء وأجملها منظراً . وجزائر الأمراء تسع . وكلها فى الطرف الشرقى من بحر مرمره وعلى بعد نحو عشرة أميال من الاستانة والى الجنوب الشرقى منها . فركبنا باخرة صغيرة كبواخر البسفور أو اكبر قليلاً . وكان ذلك فى يوم جمعة فرأينا الازدحام شديداً جداً فسألنا عن السبب فاخبرنا أن يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ولاتحسبن أن العطلة الرسمية فى الاستانة كيوم العطلة الرسمية فى مصر : فيه تقفل مصالح الحكومة ودواوينها ومدارسها فحسب . فالعطلة الرسمية فى الاستانة اكثر من ذلك . ففى يوم الجمعة تقفل مصالح الحكومة والدواوين وتغلق الحوانيت والمخازن التجارية ، وجميع المصارف المالية ، لا فرق فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين وبين الوطنيين والأجانب . فكلهم سواء فى اتباع أمر العطلة . فاذا عطلت المصالح فى هذا اليوم فليس أمام القوم الاّ التنزه . وهذا هو سر الازدحام ولقد كان الازدحام شديداً حتى إنى شبهته بيوم شم النسيم فى مصر ففيه تشترك جميع الطوائف فى العطلة وفيه تشترك جميع الطوائف فى الخروج الى المتنزهات المختلفة . ولقد رأينا بعض القوم يغنون ويطربون بنوع من المزمار كما تراهم يفعلون ذلك فى القطار ، وهم فى طريقهم الى القناطر الخيرية مثلاً فى يوم شم النسيم . ولما رست الباخرة فى برنكيبو ونزلنا الى البر كان على النازلين أن يمروا بين صفوف كثيرة من المتفرجين والمتفرجات والمتنزهين والمتنزهات ليصلوا الى حيث يريدون . وكانت تلوح على وجوههم جميعاً علامات البشر

والسرور كأنهم فى يوم عيد . والجزيرة مصيف من أحسن المصايف لأنك تجد فيها ما يذهب الحزن من الأنواع التى ذكرها القائل فى قوله :

ثلاثة تنفى عن القلب الحزن الخضرة والماء والوجه الحسن

فالخضرة فى أرضها وفى جبالها ، والماء فى بحرها وحماماتها والوجه الحسن فى سكانها وزوارها . هذا الى أن وسائل الراحة وافرة فى فنادقها . ولئن سمى الانكليز جزيرة وايت فردوس انكلترا فجدير بالاتراك ألا يخلوا على هذه الجزيرة باسم فردوس الاستانة . ورأيى أنها لا تقل كثيراً عن جمال جزيرة وايت

وما كان احتفاء القوم بيوم الجمعة على نحو ما ذكرت ليقلل كثيراً من شأن يوم الأحد . فقد ذهبنا فى يوم الأحد الى حديقة تسمى بحديقة تقسيم وهى قريبة الشبه بحديقة الازبكية وتخص بلدية الاستانة . وفيها كشك للموسيقى كما فى حديقة الازبكية يعزف فيه جوق الموسيقى الرسمى . وفيها مكان للتمثيل إلاّ أنه غير مكتوم لأنه فى الهواء الطلق وفيها « قهوة » كبيرة يطل الجالسون على كراسيها على البسفور . وكان خير ما أعجبنى وجود دار التمثيل فى الهواء الطلق ، وقلت فى نفسى حبذا لو اقتدينا بهم فى ذلك وجعلنا أغلب دور التمثيل عندنا فى الحدائق والخلوات فنحن أحوج الى ذلك منهم ويكون الجلوس فيها أنفع للصحة من الدور المكتومة

ومن الحوادث ما حدث يوم ازمعت السفر من الاستانة فقد وصلنا الى الرصيف وكان لا بد من التأشير على جواز السفر يؤشر عليه موظف يقدم اليه الجواز من نافذة يتزاحم عليها المسافرون كما يزدحمون عندنا فى المحطات لقطع تذاكر سكك الحديد . وقفت مع الواقفين وكدت أصل الى غرضى قبل دورى بشىء من المزاحمة الضرورية فى مثل هذه الظروف فامحنى انكليزى

مع زميل له كانا من جملة المنتظرين وقال : يجب أن تنتظر ، نحن قبلك . فاجبت : معك حق ، وسأتقدم بعدك . وانتهى أحد المتقدمين وخلا مكان فأوحيت اليه أن يتقدم فتقدم . وانتهى آخر وكان على الانكليزى الدور ولم يكن ملتفتاً لأنه كان يتكلم مع صاحبه فأوعزت اليه أن قدم جوازك فقدمه . لكن الموظف مد يده وسحب منى جوازى على بعده منه وترك جوازه على قربه منه . فلم يسعنى إلاّ أن أعطيته إياه شاكراً له فى نفسى تقديمى عنه آسفاً على تقدمى عليه بالرغم منى . فاغتاظ الانكليزى وظهرت عليه بوادر الغضب وصار يقول : «لكن لماذا ؟ هذا دورى ! لا أعرف السبب» ولست أدرى أكان يعرف الموظف الانكليزية أم لا . وعلى كل حال فقد مضى فى سبيله كأنه لم يسمع شيئاً ولم يك عتياً

وتكاد هذه الحكاية تبوح بمغزاها

قمنا من الاستانة الى أزمير ، ثم رجعنا الى جزيرة مدلى ومنها الى بيريه . فسألنا عن الحكمة فى سير الباخرة بهذا الشكل وكان جديراً بها أن تقوم من الاستانة الى مدلى فأزمير فبيريه . فعرفنا السبب . وقلت قاتل الله الحروب فانها كالأمراض تفتك الأولى بالبلاد كما تفتك الثانية بالأجسام . فاذا زالت الأمراض تركت الأجسام فى دور النقه غير مستردة تمام صحتها إلاّ بعد حين قد يطول أو يقصر حسب شدتها ومدتها . وكذلك الحروب اذا انتهت تركت البلاد فى دور النقه غير مستردة تمام ودها إلاّ بعد حين يطول أو يقصر حسب شدة الحروب ومدتها

ولما وصلنا الى بيريه ذهبنا منها الى أثينا عاصمة اليونان فسمعنا أنها سائرة فى طريق العمران سيراً حثيثاً بقدوم الذين هاجروا من الأرمن والأروام من

الاستانة وأزمير اليهما وعددهم لا يستهان به واكثرهم من الأغنياء فكانت النتيجة أنهم أخذوا يشترون الأراضى من الفقراء الذين لم يستطيعوا أن يعمروها فتضخم المال عند هؤلاء الفقراء وسيتم العمران قريباً فى الأراضى التى كانت متروكة وسيسعد البلد بهم . وكيف لا تسعد بلاد أهلها على جانب عظيم من الوطنية الحقة التى تعمل كثيراً ولا تقول إلاّ قليلاً . فقد سمعنا أن الأروام يقاطعون التاجر الذى يستورد بضائعه من الخارج مقاطعة قد تضطره الى المهاجرة . ويحكى أن أحدهم جلب من الخارج أصنافاً مختلفة من الأحذية فقاطعه مواطنوه مقاطعة جعلته يأتى الى مصر ببضاعته بعد أن يئس من بيعها فى بلده وقرب من الافلاس . ولو عرفت هذا الرجل لبشرته بمستقبل باهر ونجاح عظيم بحسن اختياره البلد المشهور أهله باكرام الضيف وتفضيل الغريب على القريب . وفى هذه الحكاية الكفاية لمن يعتبر وهنا أشعر أنى كدت أدخل فى السياسة ولست من رجالها فلأخرج منها بسلام

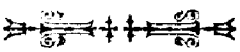

(٨)

فوائد المؤتمرات

وفقت للسفر لحضور المؤتمر الجراحى الدولى السابع الذى عقد فى روما فى اليوم السابع من الشهر الماضى [1] . وتعقده الجمعية الجراحية الدولية التى تأسست منذ ٢١ سنة فى بروكسل عاصمة البلجيك . ويعقد مرة كل ثلاثة سنوات فى مكان يقرره المؤتمر الأخير قبل انفضاضه . فكان فى سنة ١٩٢٣ فى لندن وفى هذا العام فى روما وسيكون فى سنة ١٩٢٩ فى فرصوفيا ، وله رئيس دائم من كبار أطباء البلجيك ، ويعين لكل مؤتمر رئيس يوم يحدد مكانه . أما أعضاؤه فصفوة جراحى البلاد المختلفة . وغرضه النهوض بفن الجراحة

وللمؤتمرات فوائد ، اذ تجتمع الناس من كل الطوائف ، وفى كل أدوار الحياة ، اجتماعات دورية للمناقشة فى المهم من المسائل التى تخصهم ليزدادوا تجارب وليوسعوا دائرة معارفهم فيتعلم من لا يعلم ممن يعلم ، وبذلك تتقدم العلوم والمعارف والفنون . وفى صناعتنا نحن معاشر الأطباء وهى الصناعة التى ترمى الى مساعدة اخواننا ومنفعتهم يتحتم علينا أن نستفيد من تجارب الغير وأن توسع مداركنا لما فى ذلك من الخير العظيم الذى يعود على مرضانا الذين يعتمدون علينا فى تحسين صحتهم والمحافظة عليها حاصلة واستردادها لهم زائلة

فمن واظب على حضور المؤتمرات غير متخلف عنها لا بد أن تزداد معلوماته ، ولو لم يشترك مع المحاضرين فى المناقشة أو يلقى هو نفسه عليهم تجاربه لأنه يستفيد مما يسمعه فى أثناء حضوره

وما أعظم أجر من يشترك مع المحاضرين فى المناقشات أو يفتتح موضوعاً

(١) نشرت هذه المقالة فى مقطم أول مايو سنة ١٩٢٦

بنفسه لأنه بذلك ينقل إلى الآخرين معلوماته وأفكاره ، ولا تحسبن أن ذلك لا يعود عليه بشيء من الفائدة فعمله هذا مما يضطره الى التعمق فى الموضوع

(٤) أعضاء المؤتمر الجراحى الدولى الذى عقد فى لندن فى يوليه سنة ١٩٢٣

الذى يعالجه تعمقاً شديداً بحيث لا يترك فيه صغيرة أو كبيرة إلاَّ ويلم بها وهذه حالة من أراد المناقشة أيضاً

وليس حضور المجتمعات والمؤتمرات ، وسماع المناقشات والمحاضرات ، ليس كل ذلك مما يفيد الناشئين أو المبتدئين فحسب ، بل كثيراً ما يفيد الأساتذة والمجربين . وليس كل ما يقال فيها مما يؤدى إلى التحسين والتقدم ، بل قد يكون بعضه مما يجب أن ينفى ويحذف من جدول الموضوعات والمناقشات ، ولا تحسبن أيضاً أن من اللغو سماع هذه المناقشات أو الأقوال لأنها تعلمنا كيف نتقى خطأ الغير

ولبعضهم أن يقول أنه يستطيع أن يقرأ كل ما يذاع ويشاع ويقال فى هذه المؤتمرات فى تقاريرها أو فيما يذكر عنها فى المجلات الخاصة بها ، وهذا صحيح . وقد يكون فى مطالعة التقارير شىء من الفائدة الجليلة بمطالعتها بتأن وتريث فى الوقت المناسب مطالعة هادئة دقيقة ، لكن من الصحيح أيضاً أن رؤيتك الشىء ليس كسماعك إياه ، وان سماعك الشىء من المحاضر نفسه ليس كمطالعتك إياه . وقديماً قيل وما راء كمن سمع . ذلك لأن رؤيتك الشىء فى المؤتمر أو سماعك المحاضرة من المحاضر كثيراً ما يكون اكثر انطباعاً فى نفسك وأرسخ تأثيراً فى قلبك من المطالعة

ولحضور الاجتماعات والمؤتمرات فى نفس المؤتمرين تأثيرات نفسية مختلفة كالتى تحدث فى نفسى ، وهذه التأثيرات تتلخص فى الاعجاب بالمتكلم أو بموضوعه أو بطريقة القائه ، وفى الشعور بانحطاطك عن الغير وتواضعك عنه لأنك لم تتشبه به ولم تنح نحوه ، وفى نزوعك للتشبه به عملاً وخطة وطريقة ، وفى اعتزامك الآتهمل هذا أو ذاك مستقبلاً ، وفى أسفك على ما فاتك مما فاتك

والاعجاب بالمتكلم ، والشعور بالانحطاط عن الغير ، والنزوع إلى التقدم

والاعتزام ، والأسف ، كل ذلك مما يسوقك إلى الصعود على سلم الكمال ومما يدفعك الى القيام بواجباتك خير قيام

وان بقينا فى وطننا ولم ننزح عنه غير خارجين عن دائرة عملنا فقد يكون عملنا جيداً نافعاً وقد يبقى فى دائرتنا فلا يتعداها ولا تنتشر أفكارنا ولا تنزاع آراؤنا ولا يستفيد غيرنا . لأعمالنا الجيدة تأثير حسن لكنه قليل لأن الزملاء لا يعرفون هذه الأعمال إلاّ بعد زمن طويل . أما اذا سمحنا للزملاء بالنظر فى أعمالنا كما يحدث فى المؤتمرات ، فالأعمال الجيدة تعرف سريعاً وتقدر حق تقديرها وتذاع منتشرة

ولنا فى كبار الأطباء أحسن أسوة . فانهم يحضرون هذه المؤتمرات ويفتتحون الموضوعات ، ويتناقشون ، ويعملون على تقدم الفن معلمين غيرهم لا يبخلون عليهم . وقد يتعلمون ممن هم أصغر منهم غير متكبرين

وكثيراً ما يزداد التآلف بواسطة المؤتمرات بين الأعضاء بعد التعارف فتوثق عرى المحبة بين الأعضاء فى البلاد المختلفة مرتبطين

فقد تشرفت بمعرفة جراحين من انجلترا ، والسويد ، والنرويج ، وفرنسا ، والدانمارك ، واسلندة ، واستراليا ، وبولونيا ، وروسيا ، واليابان ، والأندلس ، والبرتغال ، وكندا ، والولايات المتحدة

وتاريخ الطب حافل بما لتبادل الآراء بهذه الطريقة من المنافع والفوائد العظيمة

ولا ينبغى أن تقتصر الاجتماعات على أبناء البلد الواحد لأنه كلما تعددت الأعضاء أجناساً وازدادوا أعداداً عظمت الفائدة وكانت أتم

وما المؤتمرات الا صورة مصغرة من الحج الذى كتب على المسلمين لمن استطاع اليه سبيلا ، ولو أدرك المسلمون ما فيه من المزايا التى لا يستهان بها

لسهلوا السبيل اليه واستخدموه لأغراض كثيرة دونها فوائد المؤتمرات . بل لو كتب الحج على غير المسلمين ممن لم يعجزهم الوصول الى أعلى الجبال بالسكك الحديدية الكهربائية ، واختراقها والسير فى باطنها مسافات طويلة بالسكك الحديدية ، وممن لم يعجزهم التحليق فى السماء أو الغوص فى الماء بالغواصات ، أقول لو كتب على غير المسلمين من مثل هؤلاء لرأيت العجب . فهلا يرى العلماء من المسلمين أن من العار كل العار أن يبقى طريق الحج فى هذا العصر كان يوم فرض الحج . تلك والله عبرة لمن أراد أن يعتبر

---

(٩)

الحديث شجون

سافرت فى القطار المخصوص الذى يوصل الركاب من محطة مصر الى اسكلة القبارى فيصعدون الى الباخرة مباشرة . وودعنى على المحطة لفيف من صفوة الاصدقاء كان لوداعهم فى قلبى أطيب الأثر . ولما تحرك القطار جلست فى مقعدى فى الصالون وكنت فيه وحدى فعمدت الى جريدة السياسة أطالعها . وبعد قليل دخل على فى الصالون رجل متحطم ، ذاهب ، كبرت سنه فرق جلده ، ودق عظمه ، ومعه سيدتان فى مثل عمره أو أقل قليلاً . وأخذ الرجل يدفع الغبار عن المقعد الذى بجانبى والتفت الى قائلاً : لقد دفعنا الأجرة بحساب الدرجة الأولى فاذا نحن فى الدرجة الثانية !

فقلت : هون عليك ياسيدى فان الفرق بين الدرجة الأولى والثانية هو هذا الباب وأشرت الى الباب الصغير الذى يفصل الدرجة الأولى عن الدرجة

الثانية لأن العربة كانت ذات شطرين شطر للدرجة الأولى وشطر للدرجة الثانية فالفرق وهمى اكثر منه حقيق

فقال : هذا صحيح

ثم استطرد الى موضوعات شتى فشكا الى مما وجده فى مصر من طمع التجار فى السائحين من الاجانب . وضرب لى مثلا عباءة حريرية أراد أن يشتريها لأحدى السيدتين اللتين معه فطلب فيها التاجر منه خمسة وأربعين (دولاراً) ريالاً وهى لا تساوى فى نظره هذا المبلغ

فقلت : إن الكثير من حسنات السفر والسياحة تستغرق اليسير من السيئات والمصاعب التى قد يصادفها الإنسان فى سفره ، وما أظن إلا أن الطمع فى السائحين من الأجانب عادة شائعة يشهدها الإنسان فى كل البلاد

فقال : نعم ، لكن لو كانت الأثمان محددة لأخذ الإنسان الحاجة مطمئناً ولو كان مغلوباً

فقلت : فلنحسب أن ثمنها كان محدداً ولا تكن مكروباً

فضحك الرجل وعرفنى بنفسه فاذا هو امريكى من نيويورك فعرفته بنفسى ، ولما عرف انى طبيب غير منحى كلامه فجعله فى المسائل الصحية

فقال : لقد سررت جداً من آثار أجدادكم وهى ولا شك تشهد بفضلهم وتقدمهم ولكن بقينا طول المدة التى مكثناها بمصر ونحن خائفون من الأمراض لرداءة الحالة الصحية فى البلد

فقلت : كيف ذلك

فقال : رأيت شوارع كثيرة ضيقة قذرة مزدحمة بالناس . وكثيراً ما كنت أرى الأطفال يغطى وجوههم الذباب وهم فى حالة قذرة . ولقد كنا

نشك فى صلاحية الماء للشرب . وها أنت ترى بعض المساكن غير صحية وأشار إلى بعض العزب مما يشاهد على جانبى الطريق بالقطار

فقطع بى وما استطعت الكلام ولا زدت على أن قلت : أما والله لو أن لنا حكومة كحكومتكم تقدم الأهم على المهم وشعباً كشعبكم رقياً وأخلاقاً وتعاوناً يتنجز حكومته حقوقه ويقوم بواجباته لصرنا الى حال ترتضيها وكنا بها نحن من المغتبطين

وبعد ذلك سكت مفكراً فرأيت من واجبى أن أدافع عن مصر كما يدافع المحامى عن المتهم وهو عالم بارتكابه جريمته ، وأن أقول له فى ذلك عذراً ولو كان أقبح من الذنب

فقلت : تعلم ياسيدى أن الاحتلال لبث فينا نحو أربعين سنة أراد فيها اصلاح شئوننا ومن الحق أن تبقى عليه مسئولية التقصير فيما أراده من الاصلاح ولقد استدبرنا عهد الاحتلال بحسناته وسيئاته ، واستقبلنا عهد الاستقلال باعبائه وتبعاته وعللنا النفس ببلوغ الآمال . ولكن اختلف الناس لسوء الحظ فى هذا الاستقلال . فقال فريق إنه استقلال لا شك فيه . وقال فريق إنه استقلال مزيف مما أدى الى التخاصم والتشاحن والانصراف عما يلزم من وجوه الاصلاح . وما أدرى كيف ينفعنا الاستقلال الحقيقى ونحن على ما نحن عليه انصرافاً عن الأعمال الجدية واشتغالاً بالمسائل التى تكاد تكون هزلية . وما أدرى كيف يضيرنا الاستقلال المزيف لو أجمعنا جميعاً على اعتباره خطوة لا بأس بها لما فيه من المزايا التى لا يستهان بها وانصرفنا جميعاً إلى اصلاح شئوننا وهى كلها تحتاج إلى الاصلاح . قلت لو فعلنا ذلك لأصبح الانكليز مثلهم كمثل جحا إذا اجتمع تحت نافذة بيته نفر من الأولاد يصيحون

ويطلبون منه أن يعطيهم شيئاً مما عنده . فأطل عليهم من النافذة وقال لهم : أيها الأولاد ليس عندى ما يمكننى أن أعطيه لكم لكنكم لو ذهبتم الى جارى فلان وأشار الى أحد جيرانه لوجدتم أنه ذبح اليوم شاة وقد يعطيكم منها نصيباً. فجرى الأولاد نحوه . ولما رآهم جحا يركضون نحو جاره أخذ يعتقد فى صحة ما ادعاه على جاره ، وخرج من بيته ليدرك الأولاد ويدرك له نصيباً . فلو فعلنا ذلك وانصرفنا إلى الاصلاح لوجد الانكليز آخر الأمر انهم منحونا الاستقلال

فقال : ولم لم تفعلوا ذلك ؟

فقلت : ولم لم نفعل ذلك ؟

فقال : أنا أسألك ؟

فقلت : وأنا أسألك

فقال : لست أدرى

فقلت : وأنا لست أدرى

واقترب القطار من الاسكلة ، فقام ليهتم بنقل متاعه واعتذر لى عن تطفله علىّ بالكلام

فقلت : معاذ الله لقد طاب لى حديثكم وكنت به مسروراً . مع السلامة

(١٠)

فى الباخرة اسبيريا

لقد كان سفرى فى الميعاد الذى أخذ السياح يغادرون فيه مصر الى بلادهم أو الى بلاد أخرى فى طريقهم الى بلادهم . ولذلك كانت الباخرة ملء حشدها منهم ، ولم يكن فيها من المصريين إلا ثلاثة أنا ثالثهم ، فرأيت أن الفرصة سانحة لدرس ما يمكن درسه من اخلاق هؤلاء السياح وعاداتهم وطباعهم وآدابهم والمقابلة بين أجناسهم المختلفة أولاً وبينهم وبيننا ثانياً . ولعل أول ما بدا لى تخير من كان معنا من السيدات فى السفينة فى اتخاذ أفخر الملابس ولا سيما ذلك فى المساء . فكنت ترى بعضهن يتنايهن بجمالهن ، والبعض

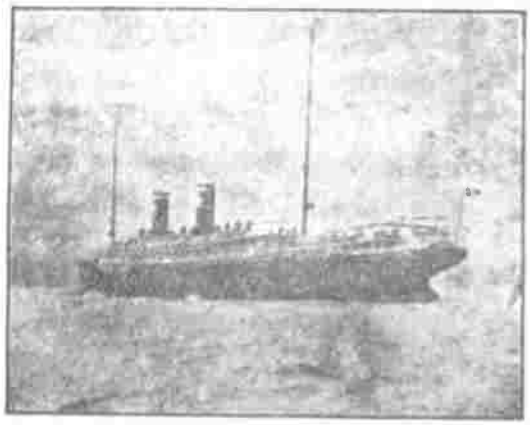

(٥) الباخرة اسبيريا

الآخر بكمالهن ، لكنهن جميعاً كن يتباهين بملابسهن وأزيائهن . فقلت ما أشبههن بسيداتنا أو ما أشبه سيداتنا بهن ، فهن كلهن ، لسوء حظ الرجال ، أو لحسن حظهم سواء . واستطردت قائلاً لنفسى . لقد فكر البعض فى توحيد

اللغات وفكر البعض الآخر فى توحيد الاديان وكان جديراً بالبعض أن يفكر فى توحيد هذه الازياء تخفيفاً لاعباء من يرى من الرجال فى ذلك تخفيفاً للاعباء

ومما لاحظته أن الانكليز هم وحدهم الذين لايفوتهم أن يشكروا المثفر وهو الغلام السريع الخفيف فى الخدمة (الجارسون) على كل شىء فاذا قدم لهم شيئاً أو ناولهم شيئاً وهم على المائدة قالوا له الكلمة الانكليزية المعروفة « كثر الله خيرك » واذا نقلهم الى أعلى أو أنزلهم الى أسفل بالمصعد شكروه . وهى عادة تدل على الأدب الجم وما أظن أنى لاحظتها مع غيرهم ممن صادفتهم. ولى ملاحظة على الحلوان وهو ما يعرف بالبخشيش أو البقشيش لا بأس من ذكرها . فقد نزل كل المسافرين ممن كانوا يجلسون معى فى أثناء الطعام على

(٦) اثار الملهى المدرج الذى بسراقوزة

مائدة واحدة فى نابولى وكانوا من أجناس مختلفة ، وكان عليهم أن يدفعوا الحلوان بعد دفع ما عليهم من حساب المشروبات الاضافية التى تناولوها فى أثناء سفرهم فى الباخرة فلاحظت أن ما دفعوه حلواناً قليل جداً بالنسبة لما اعتاد

أن يدفعه المسرفون من المصريين . ويكاد يكون كل المسافرين من المصريين مسرفين . وكاد يكون إسراف المسرفين من المصريين بهذا الشكل أمراً خاصاً بهم لا يعنينا نحن المعتدلين أن نتكلم فى شأنه لولا أن إسرافهم كثيراً ما يورطنا فيضطرنا الى مجاراتهم فى إسرافهم مكرهين ، ذلك أن القوم فى الباخرة أو فى البلاد الاجنبية كثيراً ما تدلهم فراستهم على المصريين فيتملقونهم بوسائل شتى استثماراً لخلة الاسراف فى المسرفين منهم وتوريطاً للمعتدل بل ولمغلول اليد فيبسطها كل البسط آسفاً مقهوراً . واليك بعض ماجرى لى بيانا تقولى وايضاحاً لما اريد أن اذكره لك :

خرجنا ذات يوم ونحن فى روما لزيارة بعض الاماكن التى يزورها السياح كالمغاور التى فيها الموتى وغيرها . وكان كوك يرسل الينا السيارات الفخمة فنزورها جماعات . فأخذ كل واحد منا له مكاناً وحدث انى بقيت وحدى فى احدى السيارات . فلاحظت أن سائق السيارات كلما وصلنا الى مكان يفتحون أبواب سياراتهم وهم جلوس فى مقاعدهم لنزول الركاب منها . واذا عادوا لركوبها فقد يفتحون لهم الأبواب وهم جلوس أيضاً . أما سائق السيارة التى كنت فيها فكان اذا وصلنا الى مكان ينزل من مقعده ، ويفتح الباب ، ويرفع قبعته ، ويحنى رأسه ، وأنا نازل من السيارة . وكذلك كان يفعل اذا عدت اليها للركوب . وكان يفعل ذلك فى احترام وأدب حتى لقد أخجل تواضعى . ولا عجب أن استعرت هذا التعبير الذى جرى على لسان حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول فقد أخذنى الغرور وكاد يخيل الى أنى أمسيت فى آخر الزمن وزيراً من الوزراء أو على الأقل وكيلاً من الوكلاء . ولقد دفعنى احترام هذا السائق لى وان شئت فقل تملقه الىّ تجاوز حد الاسراف فيما أعطيته له بقشيشاً وأنا مكره لا بطل

وأغرب من ذلك ما حدث لى فى الفندق الذى نزلت فيه فى مونتريه (بسويسرة) . والفندق اكبر من أن ينزل فيه مثلى . فقد لاحظت أن البواب (Concierge) كلما خاطبنى خاطبنى باحترام ذاكراً كلمة (Excellence) أى

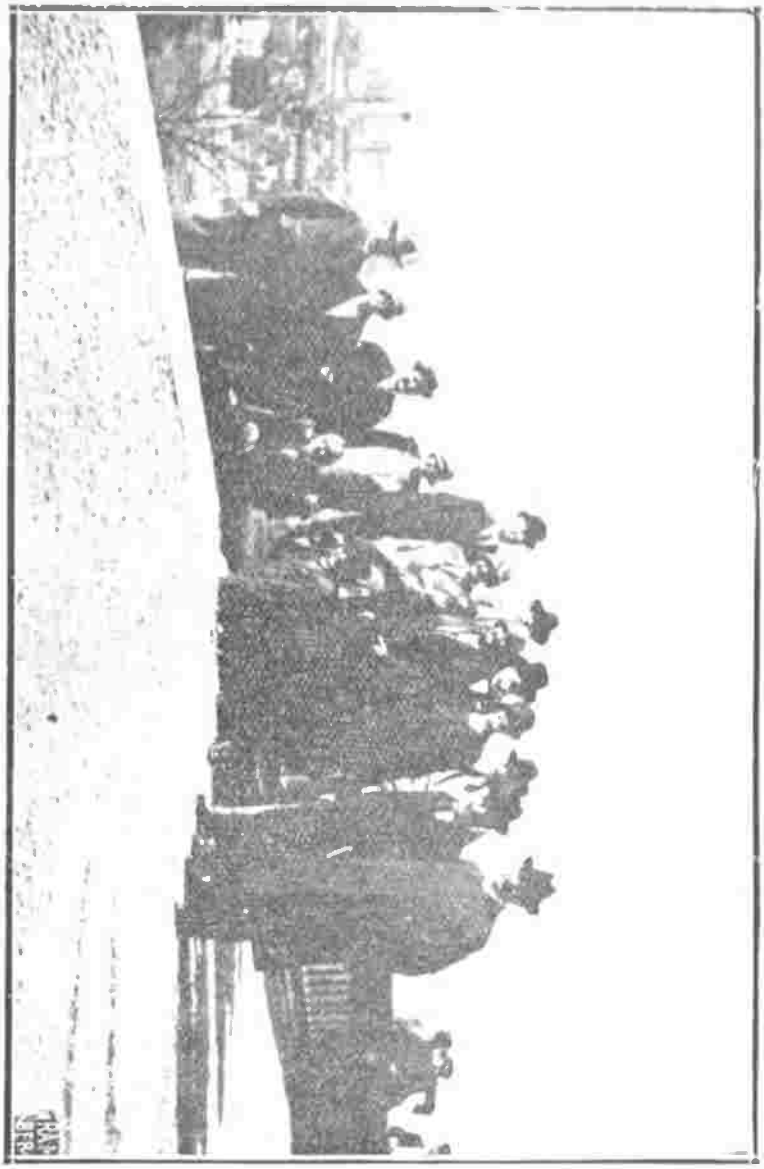

(٧) جماعة من أعضاء المؤتمر وقد خرجوا لزيارة بعض الآثار

سعادتك مراراً مع أنى لاحظته وهو يكلم غيرى ممن أعتقد أنهم أعظم شأناً وأعز مالاً فلم أره يذكر هذه الكلمة فى مخاطبتهم على نحو ما كان يفعل معى

حتى لقد هممت أن أسأله ومن أدراك أنى بك ! ؟ على حد تلك الفكاهة المشهورة التى تروى عن شاب غنى كان مولعاً برتبة البكوية ساعياً اليها جهده فركب ذات يوم عربة فصار الحوذى كلما خاطبه خاطبه ياباك فتوهم الشاب احتمال الانعام عليه بالرتبة بغير أن يعلم فسأل السائق بقوله. من أخبرك بأنى بك ؟ !

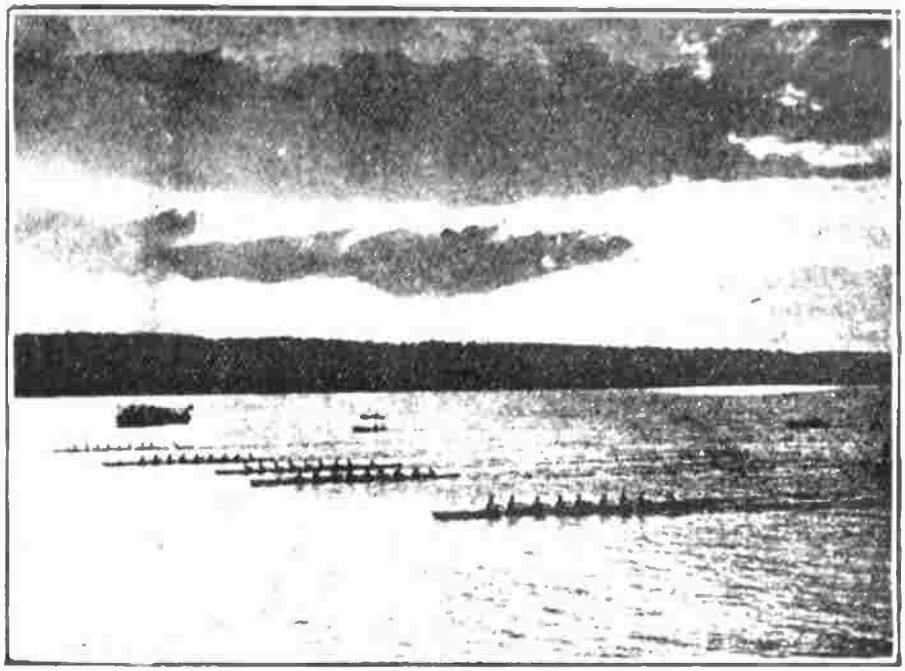

(٨) قوارب ممشوق قوامها

ومن ذلك يتضح أن فعالنا تفوق فعال المكثرين من الأمريكيين والانكليز وغيرهم فى حين أن مالنا يقل عن مالهم

ومما شاهدناه وقد تحركت الباخرة للقيام من نابولى قارب صغير ممشوق القوام فيه ثمانية مقاعد كل مقعد يسع اثنين ، جلس على كل مقعد شاب ، جلس الأول ذات اليمين ، وجلس الثانى ذات اليسار ، والثالث ذات اليمين ، والرابع ذات اليسار ، وهكذا ، وكانوا كلهم بملابس السباحة ، وفى يد كل

واحد منهم مجذاف ووقف أمامهم تاسع كالوازع يدبر أمرهم ويظهر أنهم كلهم كانوا فى القارب لتوديع بعض من ابحروا من نابولى الى جنوى . ولما تحركت الباخرة أشار اليهم الوازع أن سيروا فرأينا نحن الركاب منظراً جميلاً إذ سار القارب تدفعه المجاذيف ، فى اتجاه سير الباخرة ،وصرنا نرى نظاما فى الحركات غريباً . فكلما مالت رءوسهم إلى الأمام دفعت المجاذيف إلى الوراء وكلما مالت رءوسهم إلى الوراء دفعت المجاذيف إلى الأمام . وسار القارب والباخرة الى أن زادت سرعتها فلم يستطع القارب اللحاق بها فأخذ الذين فى القارب يتبادلون الهتاف مع اصحابهم الذين فى الباخرة مودعين ومودعين ، وكان سائر ركاب الباخرة عليهم متفرجين

تعب كلها الحياة منذ أيام المعرى الى الآن ، وما أظن إلا أن تعبها فى ازدياد . ولعل هؤلاء القوم بمثل هذه الرياضة البدنية البحرية الهوائية الشمسية يدفعون تعب هذه الحياة ويتغلبون على مصاعبها . فأنعم بها من رياضة واكرم

وماسارت الباخرة غير بعيد من نابولى حتى أخذت السماء تتلبد بالسحاب ثم أخذت تطش طشيشاً غير قليل فشملت السفينة وصارت تترنح متمايلة ذات اليمين وذات اليسار . وما كان ذلك ليمنعها من توصيلنا الى جنوى فى الميعاد المقرر فوصلنا اليها بحمد الله سالمين

(١١)

فضل الحيوانه على الانسانه

لقد ترددت كثيراً فى اختيار عنوان هذا الموضوع أأجعله فضل الانسان على الانسان أم أجعله فضل الحيوان على الانسان . ولقد اكتفيت بالعنوان الأخير لأن الانسان لا يمكن أن ينال نصيبه من فضل الحيوان الا اذا استوفى حقه من فضل الانسان واليك البيان :

لقد غادرت جنوى يوم وصلت اليها لأنه كان من الضرورى ان يجتمع المشتركون فى التنزه من المؤتمرين فى ميلانو يوم ٣٠ مارس الماضى . وكان الترتيب أن انزل فى فندق نورد . ولقد قابلت فيه مندوب السويد المؤتمر وهو الدكتور قيصر . وكنت قد تعرفت به وبعقيلته فى المؤتمر الماضى بلندن سنة ١٩٢٣ فتبادلنا التحية وجلسنا نتجاذب اطراف الحديث فى شئون شتى الى أن حان موعد الغداء فتغدينا واتفقنا على زيارة مستشفى ميلانو الكبير بعد الغداء وعرفنا أن فى هذا المستشفى جناحاً كبيراً للجراحة أقامه رجيل ايطالى من ماله الخاص يدعى زوندا Zonda وسمى الجناح باسمه . ومعاذ الله أن أقصد بصيغة التصغير الى تحقيره وتقليل شأنه . ولكنى قصدت بهذه الصيغة تعظيمه وتفخيم قدره لأن التصغير قد يستعمل لهذا الغرض كقول بعضهم ياعدى نفسه وعبيد فلسه يريد تعظيم عدواته وعبوديته . ويمكنك أن تعد احسان هذا العظيم من نوع فضل الانسان على الانسان مما أصبح فى البلاد الناهضة فرض عين على من استطاع اليه سبيلا يلزمه اقامته ولا يسقط عن البعض باقامة البعض . والبلاد التى يكثر فيها أمثال هذا المحسن لا بد أن

تسمو الى المكان الذى تطمح اليه ولو كانت غير مستقلة . ولقد أرانا أحد أطباء المستشفى جميع أقسامه فرأينا النظام والنظافة والعناية والكمال . وكان الدور الأول خاصاً بالمعامل والمباحث والتجارب المختلفة والأشعة المجهولة . والدور الثانى للأحوال الجراحية النظيفة ، أما الدور الثالث فكان للعوارض والدور الرابع للأحوال الجراحية العفنة

ولا يزيد عدد الأسرة فى جناح زوندا عن عدد الأسرة فى مستشفى الملك الذى بالقاهرة ولا يزيد عدد أطبائه عن أطباء مستشفانا لكن العبرة كل العبرة فى محتويات الدور الأول . ولعلها كانت فى الدور الأول رمزاً على أنها هى الأساس الذى يجب أن يبنى عليه . ففيه قسم الأشعة المجهولة بالأجهزة القوية التى تصلح للتشخيص والعلاج لأنها ذات ٢٥٠٠٠٠ فولت . ولقوة هذا الجهاز لا يبقى فى الغرفة التى هو فيها إلاَّ المريض . أما الطبيب فيدير هذا الجهاز ويلاحظ المريض من نافذة فى الخارج فى غرفة مجاورة . وفى هذا الدور أيضاً قسم للمباحث والتجارب البكتريولوجية وقسم للمباحث والتجارب الكيميائية وقسم للمباحث والتجارب الفسيولوجية ، وقسم للمباحث والتجارب الجراحية رأينا فيه منضدة للعمليات التى تعمل على أنواع الحيوان المختلفة كالكلب والأرنب الهندى وكذلك الآلات والأدوات الخاصة بهذه العمليات . ففى هذا القسم شهدنا فضل الحيوان على الانسان . وما أعظم هذا الفضل فلولا الكلب والضفدع لما وقف هارفى على نظام الدورة الدموية منذ نحو ٣٠٠ سنة . ولولا الكلب لما اهتدى الباحثون الى قياس الضغط الدموى ، ولولا الكلب لما عرفنا طريقة التنفس الصناعى لاحياء الموتى موتاً ظاهرياً من الغرق والصدمة الكهربائية ، والكلوروفورم . ولولا الكلب وغيره من الحيوان لما اخترعت

العمليات الحديثة التى تعالج بها العوارض والأمراض المختلفة . ولولا الكلب لما استطاع كوشنج التمادى فى عمليات المخ والغدة النخامية التى أوصلته إلى نتائج باهرة لتخفيف آلام الانسانية وعذابها . ولولا الكلب وغيره من الحيوان لما تمكنا من معرفة ما يمكن أن نستغنى عنه من الأعضاء أو أجزائها فى أحوال المرض . فقد عرفنا مثلاً أنه من الممكن الاستغناء عن إحدى الكليتين اذا كانت الأخرى سليمة ، وأنه من الممكن الاستغناء عن جزء عظيم من الامعاء ، وعن الطحال وغيره . ولولا الحيوان لما عرفنا كيف نوصل المعدة بالامعاء وكيف نوصل بعض المعى ببعضه . ولولا الحيوان لما تمكن الجراحون من جراحة الرئتين والقلب . ولولا الحيوان لما اهتدى الباحثون الى طريقة الهضم وتأثير أعضاء الهضم . ولولا التجارب الغذائية على الجراء وهى صغار الكلب لما عرفنا سبب الكساحة . ولولا الكلب لما اهتدينا إلى الانسولين وفوائده ، ولولا الحيوان لما استطعنا أن نعرف تأثير الأدوية والعقاقير المختلفة ومقادير جرعها . ولولا الكلب لما استطعنا أن نعالج داء الكلب علاجاً وقائياً . ولولا خوفى من ملل القارىء لتماديت فى سرد ما يجود به الكلب وغيره من أنواع الحيوان على الانسان من المعلومات الغزيرة التى عادت على الانسانية بالخير العظيم . ولعلك أيها القارىء ، تفهم من هذا البيان الموجز ضرورة المباحث العلمية والتجارب الطبية للمستشفيات . أليست هى سر التقدم ؟ وإن تعجب من ذلك فعجب أن أخبرك أن القوم فى انكلترا يعينون أطباء بمرتبات فى المستشفيات للانصراف الى البحث بكل قواهم

ولما وصلنا إلى غرفة العمليات ورأى الطبيب على وجوهنا علامات الاعجاب بها والانشراح منها قال وقد بدا عليه شىء من الفخر والارتياح : « لقد أوفد

مجلس الادارة الاستاذ بولدو روسى (وهو المدير) إلى بعض البلاد الأجنبية لبناء هذه الغرفة على خير مثال » واقسم لك بالله أيها القارىء لقد كان لكلمته هذه التى مرت على رفقائى بغير أن يكترثوا بها وقع شديد وكادت النفس تذهب

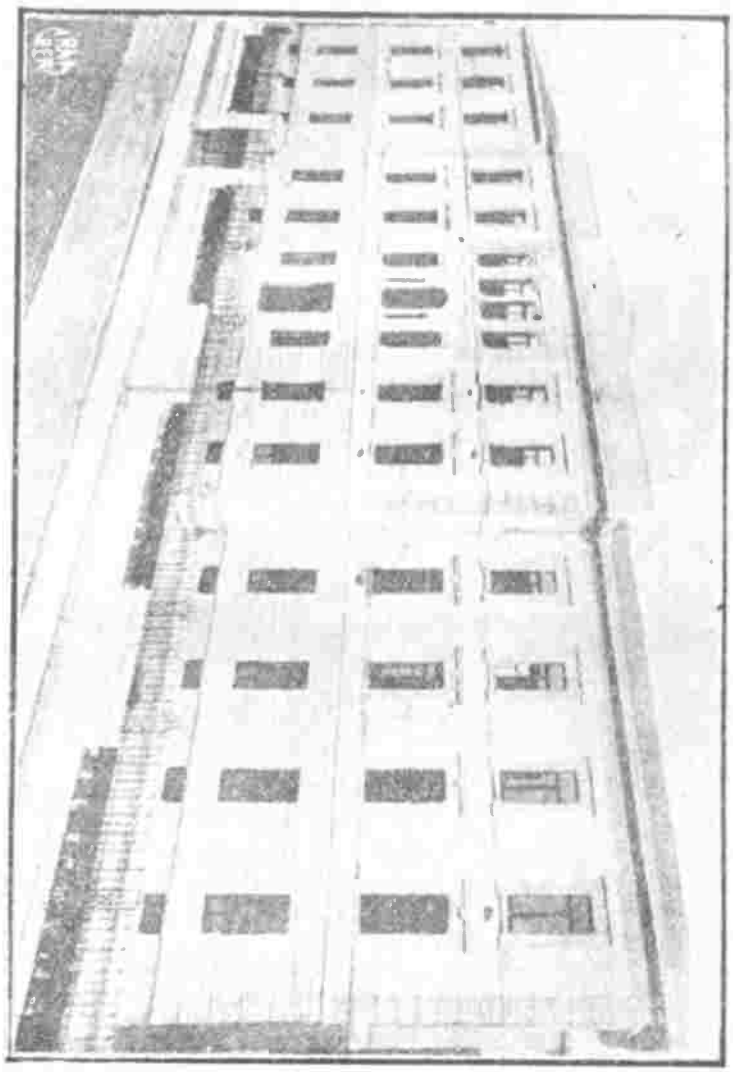

(٩) مستشفى ميلاو — جناح زونجا

حسرات . وحسبي أن أقول لك بياناً للسبب ألسنا ممن يتلف الطبخة توفيراً لثمن البصل أو الفلفل

وقال لنا الطبيب ونحن خارجون إن للمستشفى مدرسة طبية ولا أذكر

تماماً ما قاله لنا عنها أيخرج منها كل سنة مائة طالب أم فيها فى هذه السنة مائة طالب ؟

ولقد ذهبنا فى المساء إلى « تياترو الاسكالا » وكنت قد سمعت عنه يوم كنت بميلانو قبل هذه الدفعـة « إن من يحضر الى ميلانو ولا يشهد

(١٠) ملهى الاسكالا بميلانو

الاسكالا فكأنه لم يحضر إلى ميلانو » وانى وان وجدته جديراً بما سمعته عنه فخامة واتساعاً ونظاماً وترتيباً وتمثيلاً إلاَّ أنى حضرته وكأنى لم أحضره لأنى لم أفهم شيئاً من الرواية . ولكنى لم أرجع بخفى حنين فقد رأيت فيه سيدة قصت شعرها وسرحته كما يقص الرجل شعره ويسرحه فكانت مرمى الأنظار تصوب اليها النظرات من كل ناحية . ولست أدرى أقريب أم بعيد سريان عدوى هذه العادة الذميمة إلى سائر السيدات . فالعادات الذميمة كالأمراض المعدية سريعة العدوى . وقانا الله شرها

(١٢)

ما هنالك

غادرنا ميلانو مساء ٣١ مارس سنة ١٩٢٦ بعد ما زرنا أهم محاسنها . ومن أهم محاسنها فى رأيى المقبرة البديعة التى لا يصح أن يحسب الانسان الذين دفنوا فيها أمواتاً لأنهم أحياء بما على قبورهم من التماثيل التى تشرح لك أحوالهم وتبين لك عظمتهم . والمقبرة مساحتها خمسون فداناً فيها الأشجار الباسقة والأزهار المختلفة وكلها منسقة تنسيقاً جميلاً . فهنيئاً لمن دفنوا فيها بجنتهم الدنيوية فهى خير هدية من الأحياء الى الأموات . وكانت وجهتنا البندقية فوصلنا اليها متأخرين . وكان كل فريق منا نحن المؤتمرين يعرف الفندق الذى يقيم فيه . فنزلت فى « جران أوتل » مع بعض الرفقاء ووجدنا بعد العشاء اعلاناً عن العمليات التى ستعمل فى الصباح فى المستشفى المدنى يقوم بعملها الأستاذ جوردانو وهو الذى كان رئيساً للمؤتمر السابع فى روما . والمستشفى يبعد عن الفندق الذى كنا فيه نحو نصف ساعة ويصل الانسان اليه كما يصل إلى أى موضع آخر بركوب قوارب صغيرة يسميها البندقيون جوندولا (Gondola). واللون الأسود اجبارى يحتمه قانون منذ القرن الخامس عشر. وهذه القوارب تقوم مقام العربات ، والسيارات ، لأن البلد يتألف من نحو ١٥٠٠٠ بيت وقصر كلها مشيدة على نحو ١١٧ جزيرة صغيرة فى البحر يكتنفها نحو ١٥٠ قناة . وتتصل هذه الجزائر بنحو ٣٧٨ جسراً . وذلك كله مما يجعل منظر البندقية غريباً وحيداً

فقمنا فى الصباح مبكرين وقصدنا إلى المستشفى وشاهدنا العمليات

التى أعلن عنها . وليس يهمك أيها القارىء أن تقف على الفوائد الطبية التى جنيناها فهى لا تهم إلاَّ الأطباء بل الجراحين . وقد يسرك أن تعلم أن هذا الأستاذ عمل أربع عمليات كبيرة فى مريض واحد وفى أقل من ساعة . هذه العمليات هى وصل المعى بالمعـدة ، واستئصال المرارة ، واستئصال الزائدة الدودية ، وتثبيت الكلية اليمنى . نعم عمل الأستاذ هذه العمليات كلها فى فى مريض واحد فى مدة أربعين دقيقة ونال إعجاب المتفرجين مما جعلهم كلهم يتكلمون وهم معجبون بسرعته الزائدة . ومن الغريب أن الانسان لا يخلو من قادح ومادح ولو حاول العزلة على رأس جبل . ومن الغريب أيضاً أن الأستاذ لم يشذ عن هـذه القاعدة لأنى قد سمعت بعضهم يقول « يا ويل مريضه وويحه ، انه كان يعرض علينا سرعته ، انها سرعة قد تعود على المريض بالخطر ، ولو كنت مريضاً مرضاً جراحياً لما سامت نفسى اليه »

ولقد دعينا بعد انتهاء العمليات الى وليمة أقامتها إدارة المستشفى فتناولنا فيها ما لذ وطاب شاكرين لهم حسن ضيافتهم

ثم اطلعنا على أقسام المستشفى فاذا بقسم الأشعة المجهولة أكبر من كثير من مستشفيات الحكومة فى عواصم المديريات . وينقسم إلى قسمين : أحدهما للمرضى بالقسم الداخلى ، وثانيهما لمرضى القسم الخارجى . فاذا رأيته ثم رأيت الأشعة المجهولة للتشخيص والعلاج وغرفة مظلمة للتصوير وأجهزة مختلفة للعلاج بالكهربائية وبالدياترمى (Diathermy) وأجهزة للتشخيص بالمناظير الكهربائية المختلفة كالمنظار المثانى الكهربائى والمنظار الشعبى الكهربائى وغيرهما مما يطول بنا المقام لو أردنا التفصيل « ولم يفتهم أن يجعلوا فى هذا القسم بضع غرف للاحصائيات والمراجعات مما يخلو منه اكثر مستشفياتنا

لا بالنسبة لقسم الأشعة فانه لا يوجد فى جميع المستشفيات المصرية بهذا الشكل ولكن بالنسبة لجميع أعمال المستشفى . . . ولفن الاحصائيات ولا سيما فى الطب شأن كبير يظهر أننا لا نزال نجهله

ثم ذهبنا الى مطبخ المستشفى أو قسم الطبخ وكان من حسن حظ مرضى المستشفى اننا ذهبنا إليه بعد الوليمة فرأينا عجباً لأن قسم المطبخ أيضاً يكاد يكون اكبر من بعض مستشفياتنا . فيه مكتب لإدارة المطبخ لست أبالغ لو قلت لك أنه أحسن من مكتب المدير فى بعض المستشفيات . وفيه غرفتان مملوءتان بالأوانى النحاسية المختلفة مما يجعلك تتخيل انك فى حانوت نحاس لا فى مطبخ مستشفى . وفيه غرفة للتبريد

وفيه مصعد خاص بالمطبخ يخجلنى أن أقول إنه ليس عندنا مثله فى مستشفى قصر العينى

وفى المستشفى ما فيه مما يمكن أن أصفه باختصار انه ملء النفس والعين

وقبل الانصراف من المستشفى أخبرنا أن جناب محافظ المدينة قد تبرع لنا برقاص بخارى لنقلنا الى ايدو لزيارة المستشفى البحرى بعد الغداء مما سأحدثك عنه فى المقال الآتى ان شاء الله

وكذلك اخبرنا أن جراح التشوهات بالمستشفى المدنى سيقوم بعمل بعض عمليات فى مساء اليوم نفسه بعد رجوعنا من المستشفى البحرى

وقد حضرنا لمشاهدة العمليات فرأيناه وهو يكون مفصلاً صناعياً للركبة لوجود يبس (انكيلوز) فيها فكوّنه بدقة ومهارة . ثم قوّم اعوجاج قدم مشوهة بنحت العظم ونقل بعض أوتار العضلات مما لا يفهمه الجمهور

وقد عرض علينا أيضاً سيدتين كوّن لكل منهما مفصلاً صناعياً فى

احدى الركبتين ليبس فى المفصل ناشئ عن السيلان

وقد عرض علينا بعد ذلك بعضهم محقنة إيطالية الصنع والاختراع لنقل الدم من الإنسان إلى الإنسان ربما تمكنت من وصفها فى المجلة الطبية المصرية

وخرجت أقول لرفقائى وأنا أحاورهم أيجوز فى عرف الأدب الطبى أن يعرض علينا الجراح سيدتين بمرض هو فى الحقيقة مضاعفة لمرض سرى وهو السيلان ؟ فقال بعضهم بالجواز لأننا جميعاً أطباء وغرضنا المنفعة العامة

وقال البعض الآخر بالجواز لأننا غرباء ولسنا من بلد السيدتين

وقال آخر : لا بد أن الجراح استأذنهما قبل عرضهما . فسألت زميلاً انكليزياً : لو كنت أنت الجراح وكانت السيدتان من بلدك أكنت تعرضهما علينا بغير ستر وجههما ؟

فقال . لا

فقلت : وهذا رأيى ؛ فقد حدث أنى زرت أحد المستشفيات بلندن وحدث أن الطبيب أراد أن يعرض علىّ سيدة مصابة بمرض سرى فلم يعرضها إلا وهى محجوبة الوجه

على أنى التمس للجراح عذراً ولا ألومه فقد كانت غايته حميدة وقد قيل « الغاية تبرر الواسطة »

(١٣)

العلاج بالعمل

نقلنا الرفاص البخارى إلى ليدو بعد الغداء لزيارة المستشفى البحرى . وليدو وما أدراك ما ليدو ؛ هو مصيف جميل بهواء بحرى عليل يزوره البندقيون ولا سيما فى زمن الصيف لأجل الحمامات البحرية . وهو يبعد عن البندقية نحو نصف ساعة بالرفاص أو نحو ساعة بالقارب الصغير . ولقد قصدنا

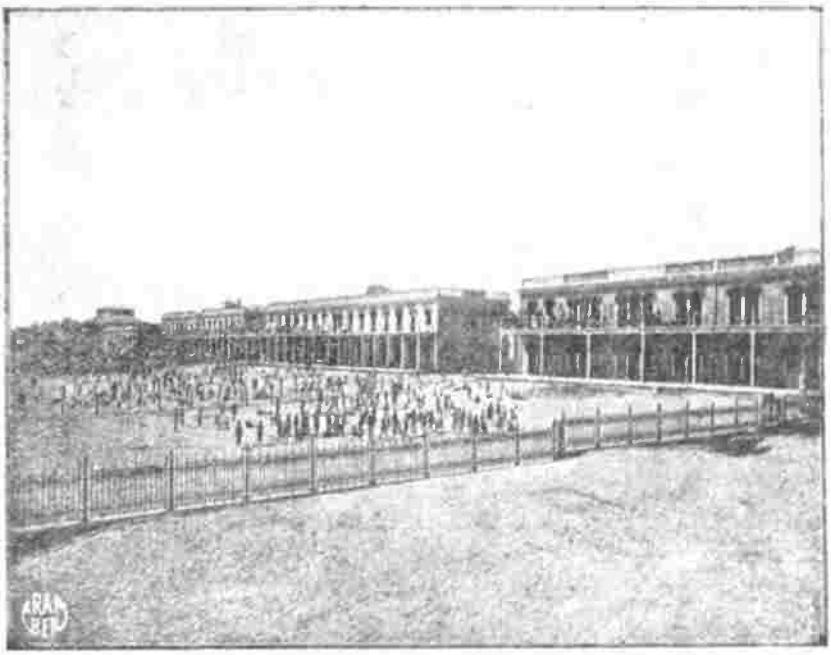

(١١) منظر للمستشفى البحرى

إلى المستشفى بعد نزولنا من الرفاص فوجدناه جنة على شاطىء البحر يلبس المرضى فيها ثياب الصحة والعافية . ولقد وفق القوم فى أمر هذا المستشفى من وجوه كثيرة . فوفقوا فى اختيار موضعه على البحر ، ووفقوا فى بنائه إذا جاء على أحسن شكل . ووفقوا فى نظامه وترتيبه ، ووفقوا فى نوع المرض

الذى يعالج فيه إذ جعلوه لعلاج التدرن الجراحى بجميع أشكاله . وهذا المرض يشاهد فى الصغار والكبار لكنه أكثر حدوثاً فى الأولاد . ويطول زمن علاجه كثيراً فقد يقضى المريض فى المستشفى بضعة أشهر وقد يلبث سنة أو اكثر . وفيما نحن سائرون نطلع على أقسام المستشفى المختلفة رأينا فيما رأينا مكاناً للصور المتحركة فالفتنا اليها الطبيب وقال لنا عنها إنها لإلهاء المرضى ولا سيما الأولاد فسألت : ألم تفكروا فى عمل مدرسة شمسية وإلهاء المرضى بالعمل على نحو ما يعمل الأستاذ روليه بسويسرة ؟

(١٢) منظر آخر للمستشفى البحرى

فقال : لم نفكر فى ذلك لأننا قصدنا بالصور المتحركة إلى الإلهاء والتسلية ولم نقصد إلى العمل

فقلت : ألا تعتبر العمل ضرباً من الإلهاء ؟ واشتدت المناقشة ، ودخل معنا فيها كثيرون . ومن حسن الاتفاق انى عالجت هذا الموضوع قبيل سفرى

وقرأت عنه كثيراً وكتبت فيه مقالاً نشرته فى مجلة صحة العائلة فذكرت لهم كثيراً من الآراء فصادفت منهم قبولاً . ومما ذكرته لهم أن طول مدة العلاج قد يؤثر فى نفسية المريض ويجعله يتأذى لا سيما إذا كان بغير دخل وممن يعيشون بكدهم وجدهم . هذا اذا كان كبيراً . أما إذا كان صغيراً فقد يضيع عليه وقت الدراسة. ولقد جرت عادة الأطباء فى المصحات عند أول نشأتها أن ينصحوا المسلولين بالاخلاد إلى الراحة التامة . وسرعان ما وجدوا وبال هذه النصيحة لأنها أفضت الى انحطاط المرضى انحطاطاً بدنياً ونفسياً . وكيف لا تفضى الى ذلك وقد كان المريض ينقل فجأة من حياة النشاط والعمل وهو بين أقاربه وذويه الى حياة السكون والكسل فى عزلة يكاد يردد فيها قول الطغرائى

ناء عن الأهل صفر الكف منفرد　　كالسيف عرى مثناه عن الخلل
فلا صديق إليه مشتكى حزنى　　ولا أنيس إليه منتهى جذلى

وكيف لا يفضى إلى ذلك ولا يشغل باله إلاّ مرضه ومستقبله . ولم ير الأطباء قديماً وسيلة لالهاء المرضى عن مرضهم إلاّ المطالعة وقد يملونها . ومن ذلك يتضح أن المسلول كثيراً ما يصاب فى المصحة بمرض نفسانى هو الفراغ من العمل ذلك الفراغ الذى يميز المصحات . وما أشد وطأة هذا الفراغ وتأثيره فى القوى المعنوية للمريض الذى لم يألف إلاّ الحياة العملية . فقد لا يقل تأثير حكم المسحة بالراحة التامة عن حكم المحكمة بالأشغال الشاقة . فالمريض الذى تناسبه رياضة بدنية ، ويعمل هذه الرياضة بنظام وترتيب من غير أن تضره أو تشق عليه — أقول إن هذا المريض يشعر بارتياح عظيم لاسترداد قواه ورجوع الماء الى مجراه . ولا شك أن هذا الشعور يؤثر تأثيراً حسناً لارتباط النفس بالجسم ارتباطاً وثيقاً . ولقد فكر القوم فى علاج هذه الأحوال

بوصف جرع طبية من العمل بمقادير مختلفة . ولقد نجحت التجارب التى أجراها روليه وغيره بسويسرة وصاروا يعتقدون أن العمل من وسائل العلاج كالدواء . وهو لذلك يجب أن يوصف عند الضرورة كما يوصف الدواء يوصفه الطبيب حسب مقتضيات المرض ، ويلاحظ تأثيره ، وينوعه ، ويعين مقدار جرعته فى اليوم . وكما أن للأدوية دلالات تقتضى استعمالها وأخرى تمنع الاستعمال فكذلك للعمل . فللعلاج مزية نفسية ومزية اجتماعية واقتصادية . فاما المزية النفسية فهى تعجيل الشفاء بالتأثير النفسانى لصرف المريض عن الانشغال بمرضه إلى الاشتغال بعمله . أما المزية الاجتماعية الاقتصادية فهى الحصول على بعض الكسب مما يساعد على تطويل زمن الشفاء كما تقتضى ضرورة المرض لأن ذلك التطويل أضمن وسيلة لعدم الانتكاس

وكنت أحبذ علاج المرضى بالعمل فى أحوال الأمراض المزمنة التى يطول علاجها بضعة أشهر أو اكثر . وما كنت لأقصد إلى علاج جميع المرضى بالعمل سواء منهم من طالت مدة علاجه ومن قصرت إلا أن بعضهم رأى أن يكون هذا العلاج عاماً لمن استطاعه من المرضى بغير ما نظر إلى مدة مرضه

وقال آخر : إن هذا العلاج شائع فى الملاجىء المختلفة ورجا أن يقوم فى المستقبل القريب طبيب اجتماعى ينظم هذا العلاج ويدعو إليه

ولقد زرنا قبل مغادرتنا البندقية كثيراً من محاسنها الأثرية والصناعية . فاما المحاسن الأثرية فلا شأن لى بها ، وأما المحاسن الصناعية فأهمها المحافظ الجلدية المزركشة المختلفة ومعامل الدنتلا البديعة ومعامل الفسيفساء الزجاجية ومما يصح أن أذكره أن الفسيفساء على ثلاثة أنواع الزجاجية وهى التى تمتاز بها

البندقية ورخامية وهى التى تمتاز بها فلورنسة، وكيميائية وهى التى تمتاز بها روما. والفسيفساء قطع صغيرة ملونة من الزجاج أو الرخام أو غيرهما توضع على أشكال مختلفة . وقد اطلعنا على طريقة الفسيفساء الزجاجية التى يعملون منها فناجين القهوة والشاى والكاكاو والزهريات وأغطية المصابيح الكهربائية وغير ذلك فاذا هى صناعة دقيقة قلما يغادر الزائر البندقية بغير أن يراها لأن القوم يحتالون على الاعلان عنها بطرق مختلفة يصح أن أذكر منها طريقة عسى أن يقتدى بهم من ذوى الصناعات المصرية من يعملون فى سكون وهدوء وثبات بغير اعلان ؛ فلم تعرف الأغلبية المصرية عنهم شيئاً حتى اتضحت كفايتهم وقدرتهم فى المعرض الصناعى الزراعى الأخير . وتتلخص الطريقة فى عرض نماذج صغيرة من أعمالهم بصفة دائمة يعرضونها فى دواليب جميلة يراها الانسان على سلالم الفنادق وفى صالات الجلوس التى فيها وفى المحطات وفى المحال العمومية وهى فى كل هذه المحال موضوعة بشكل يلفت إليها الأنظار . فلو اتبعت هذه الطريقة عندنا لما خفى علينا نحن المصريين المقيمين فى مصر ذلك النشاط الصناعى الذى أدهش كثيراً منا أخيراً والذى يجب علينا جميعاً أن نشجعه بما لدينا من وسائل ترويجاً له وتنشيطاً

بقى على أن أذكر ما حدث لنا فى البندقية مما يصح أن يضرب مثلاً لطمع الناس فى السياح الأجانب . فقد حدث أنى خرجت من الفندق مع رفيقين أحدهما دانمركى والآخر اسلندى وأخذنا قارباً صغيراً لتوصيلنا إلى موضع غير بعيد . واتفقنا على أن يدفع الزميل الاسلندى جميع ما يلزم من المصروفات على أن يدفع كل منا نصيبه له فى آخر اليوم . وللقوارب تعريفة رسمية تقضى علينا أن ندفع لصاحب القارب ست ليرات ايطالية أجراً لتوصيله إيانا . فقدم له الزميل سبع ليرات فأبى أن يأخذ إلا عشر ليرات وأبينا أن

(١٣) المؤلف وعلى يمينه الرفيق الدانمركى وعلى يساره الرفيق الاسلندى

ندفع إلا الأجر المقرر . وبعد أخذ ورد رأينا أن ندفع عشر ليرات حسماً للنزاع فقدم له الطبيب الاسلندى ورقة ذات عشر ليرات مسترداً النقود الأخرى التى كانت معه. فأخذ الرجل الورقة وطرح النقود على الأرض ومضى لسبيله يضحك مستهزئاً منتقماً . فامتدت إليه أنظارنا جميعاً فى ذهول ودهشة كاظمين الغيظ عافين عنه بغير أن يطلب منا عفواً

(١٤)

متفرقات

قمنا من البندقية فى الثالث من ابريل صباحاً قاصدين الى بادوفا فوصلنا اليها الساعة العاشرة من اليوم نفسه. وكان الغرض من نزولنا فى هذا البلد زيارة المستشفى لرؤية العمليات التى يعملها الجراح الماهر دوناتى. والجراح الماهر أو الطبيب الحاذق إذا نشأ فى بلد صغير فقد يرفع قدره ويجعل له شأناً عظيماً فتأتى اليه الناس من كل فج ليشهدوا آثار الحذق ويروا آيات المهارة فكيف به لو كان فى بلد كبير. ولما دخلنا المستشفى رأينا بعضهم وهو واقف بآلة شمسية يأخذ صورنا المتحركة ونحن سائرون الى غرفة العمليات. وكان فيها الاستاذ لابساً مئزره ومتقنعاً بالقناع وعلى كلتا يديه قفاز من المطاط وآخر من القماش الابيض وهو مستعد لاعمال مشراطه فى مريضه الذى كان نائماً على المنضدة متى تم عدد الزائرين. ومن فوائد المؤتمر للمؤتمرين أن راحتهم لغيرهم تعب. فجزاهم الله على ما لاقوه من التعب فى سبيل راحتنا خير الجزاء. وكانت العملية الأولى استئصال المرارة والثانية استئصال الطحال، والثالثة استئصال المرارة أيضاً، والرابعة استئصال إحدى الكليتين، والخامسة استئصال قطع من عظم بعض الفقرات لضغطها على النخاع الشوكى ولقد أجاد وأبدع فيها كلها ما عدا الأخيرة فقد كانت مثاراً للمناقشة وموضعاً للقيل والقال بعد خروجنا من المستشفى كما كانت العمليات الأولى سبباً لأعجابنا بكفايته وقدرته الفنية. ولم يكتفوا بما متعونا به من الآيات البينات الدالة على نبوغهم فى الفن بل قد أطعمونا قبل خروجنا أنواعاً مختلفة من المشروبات والحلوى مما دل على

كرمهم أيضاً ، وبعد ذلك ذهبنا للغداء وذهب كل فريق منا لفندق أو مطعم حسب الترتيب المعين ، وبعد الغداء ذهبنا للاطلاع على بعض آثار المدينة التى كان علينا أن نغادرها فى الساعة الرابعة مساء للسفر إلى بولونيا ، فوصلنا إليها قبيل ميعاد العشاء ونقلنا إلى الفنادق كل فئة إلى فندق ، ولقد أراد الفندق الذى نزلنا فيه أن يجهز لنا موضعاً خاصاً لنتناول فيه العشاء فجلسنا فى صالة الجلوس ريثما يتم الاستعداد ، وبعد قليل جاء المئفر (الجارسون) يدعونا للطعام فسمعت زميلاً امريكياً من الولايات المتحدة يقول للمئفر ونحن سائرون إلى المائدة : لا تسقنى النبيذ (Don't give me wine) وذكر كلمة النبيذ بالانكليزية واسقنى النبيذ (But give me vini) وذكر كلمة النبيذ بالايطالية ولشد ما أعجبتنى هذه المداعبة لأنى رأيت هذا الامريكى ينحو نحو بعض مدعى الفقه عندنا ممن يحاولون تحليل بعض ما حرم الله ولاسيما فى مسائل الطلاق بشىء من الحيل ، ولزيادة الايضاح أقول إن الولايات المتحدة قد أدركت ما فى الخمر من ضرر فسنت قانوناً حديثاً تحرم به تناوله وأراد الزميل الامريكى أن يتناول شيئاً منها على المائدة ، فى أثناء الطعام ، ولكن بحيلة لا تجعله يخالف قانون بلاده فطلب النبيذ بالكلمة الايطالية وكأنه يدعى أن المحرم هو النبيذ بالانكليزية ولقد ذكرتنى هذه المداعبة بما يحدث فى إحدى الوزارات التى لها مجلس لا بد أن يوافق على مهام أمورها . ويضم هذا المجلس بين أعضائه نفراً من صفوة كبار العلماء وخيارهم . وتحتاج هذه الوزارة كل سنة إلى مقدار عظيم من الكؤول يستعمله القسم الطبى فيها لأغراض شتى كعمل الصبغات المختلفة وغيرها من الأدوية فاذا أرادت الوزارة أن تشترى الكؤول المطلوب لم تستطع أن تقدم مذكرتها للمجلس بأنها فى حاجة إلى الكؤول خوفاً من عدم الموافقة فتقدمها

باحتياجها إلى مقدار كذا من السائل المطهر للقسم الطبي وبذلك تضمن الموافقة ويشترى الكؤول باسم السائل المطهر طهرنا الله من الذنوب والآثام

ولقد رأينا بعد العشاء بياناً عن العمليات المختلفة فى المستشفيات المختلفة. ولم يكن يغيظنى فى رحلتى إلا شىء واحد وهو أن تتعدد الأشياء التى يجب علينا أن نراها ويكون وقتها واحداً مما يجعل الانسان يحتار فى الاختيار ويصبح كما تقول العامة عين فى الجنة وعين فى النار. فاتفقت أنا وبعض رفقائى أن

(١٤) المريض المصاب بدوالى فى الفخذ والساق فى الجهة اليسرى قبل العملية

نذهب أولاً فى الصباح إلى مستشفى الأستاذ اسكيازى لنرى ما يعرضه علينا ثم نسرع إلى معهد جراحة التشوهات بجامعة بولونيا. فرأينا الأستاذ اسكيازى وهو يعمل عملية لمريض بقرحة فى المعدة بطريقة مخصوصة لنظرية مخصوصة

هو صاحبها . وكذلك رأيناه يعالج الدوالى فى الساق بعملية مخصوصة من اختراعه ثم عرض علينا آلة غريبة لعمل التربنة فى عظام الجمجمة بطريقة أستاذه كوديفيلا الذى مات قبل أن يتمكن من اعلان هذه الآلة فرأى الأستاذ

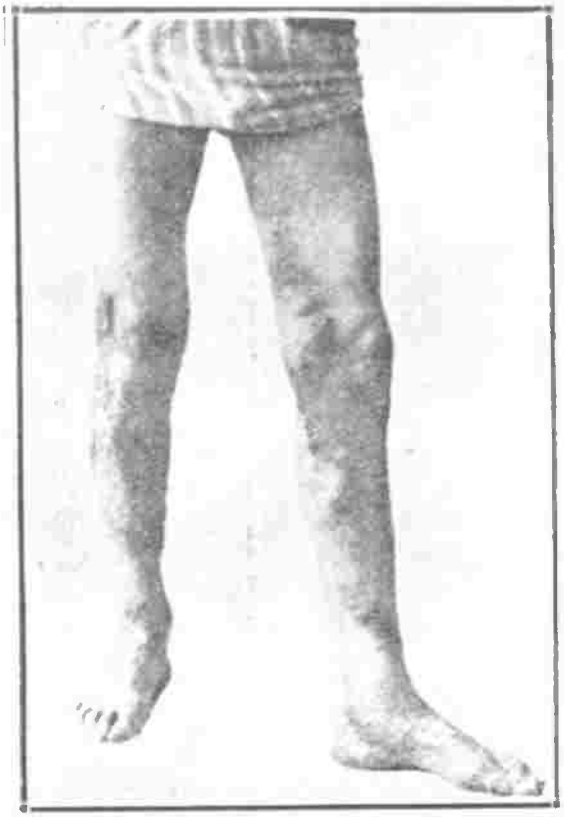

(١٥) المريض المصاب بدوالى فى الفخذ والساق فى الجهة اليسرى بعد العملية بثلاثة أسابيع

اسكيازى أن يقوم بنشر فوائد هذه الآلة قياماً ببعض ما عليه من الواجب نحو أستاذه وعسى أن أوفق لنشر كل ذلك فى المجلة الطبية المصرية

أما معهد جراحة التشوهات بجامعة بولونيا فقد شغفت برؤيته منذ رأيت الأستاذ الذائع الصيت بوتى فى مؤتمر لندن فى سنة ١٩٢٣ . فقد ألقى محاضرة علينا وقتئذ فى جراحة تكوين المفاصل اليابسة المتشوهة وعرض علينا سلسلة كبيرة من الصور المتحركة التى وضحت لنا طريقة تكوين مفصل الركبة

من ساعة دخول المريض فى المستشفى إلى وقت خروجه منه فارانا كيف يفحص المريض بعد دخوله ومقدار ما عنده من التشوه فى مفصل الركبة ومقدار ما فيها من اليبس ، وكيف يجهزه للعملية وكيف يعمل العملية مبيناً

(١٦) المريض المصاب بدوالى فى الفخذ والساق فى الجهة اليسرى بعد العملية بثمانيـة أسابيع

لنا صور الركبة بالأشعة قبل العملية وبعدها وموضحاً لنا الآلات الخاصة به التى يستعملها فى العملية وطريقة تحريك المفصل بعد العملية بالأجهزة المختلفة لتدريب المريض على الحركات الاعتيادية وما يمكن أن يعمله المريض بعد الشفاء من الحركات كالمشى والوثب والجرى والركوب والصعود والنزول كل ذلك أراه لنا الأستاذ بوتى بالصور المتحركة فبهر المؤتمر وأعجب به أعضاء المؤتمر

(١٧) معهد جراحة التشوهات بجامعة بولونيا وهو على جبل مرتفع

(١٨) منظر المعهد من الداخل

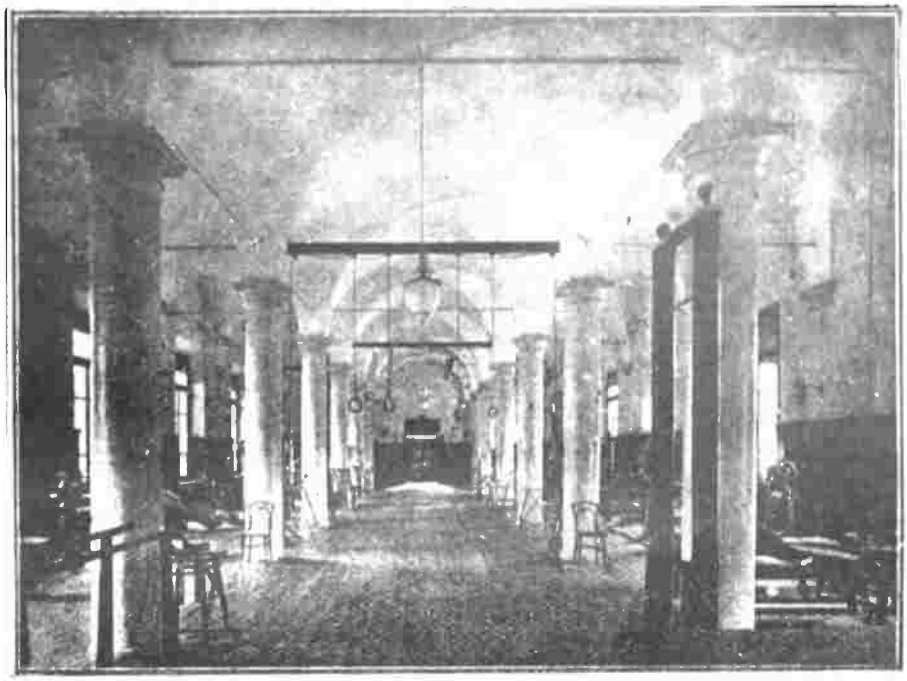

(١٩) صالة من صالات الرياضة لتحريك المفاصل

أيما اعجاب . وقام الرئيس يثنى عليه الثناء الجميل ويقدم له إعجابه وتهنئاته . ولعل إعجاب أعضاء المؤتمر بهذا الأستاذ كان من عوامل عقد المؤتمر السابع فى روما

(٢٠) الأستاذ بوتى فى عنبر من عنابر المرضى

وليس يهمك أيها القارىء أن تعرف ماذا رأيت فى هذا المعهد — معهد جراحة التشوهات — وحسبى أن أقول لك انى سمعت منه ما لم أسمعه من قبل ورأيت ما لم أره ولم يكن يخطر بقلبى . ويحزننى أن أقول إن مصر من أقصاها الى أقصاها خالية من قسم ولو صغير فى هذا الفرع العظيم من الجراحة وحبذا لو عنى أولو الشأن وفكروا فى سد هذا النقص

(٢١) الاستاذ بوتى وهو فى غرفة العمليات

ويصح أن أذكر بهذه المناسبة انى قد استفهمت من هذا الأستاذ عن ثمن شريط الصور المتحركة التى عرضها علينا فتكرم بافادتى بخطاب وردنى منه أمس عن ثمنه وأخبرنى أيضاً أنه عازم على زيارة مصر فى آخر هذا العام وقد ينتهز هذه الفرصة لعرض هذه الصور بنفسه على حضرات الأطباء المصريين لو وجد منهم اهتماماً بها فله منا الشكر سلفاً على هذا التفضل العظيم

(١٥)

موسولينى

قمنا من بولونيا فى اليوم الرابع من ابريل بعد الظهر مسافرين الى فلورنسة ولقد جلست فى الصالون الذى وجدت متاعى فيه وكنت فيه وحدى . وقبيل أن يتحرك القطار دخل على فى الصالون زميل انكليزى والتفت الى مستفهماً أمسموح بالتدخين فى هـذا الصالون ؟ لأن عربات القطار فى ايطاليا ذات شطرين ، شطر يسمح فيه بالتدخين وشطر لا يسمح فيه بالتدخين

فقلت لا أدرى ، ولقد جلست هنا لأن وجدت متاعى على هذا الرف وأشرت إليه

فقال : أتسمح لى بالتدخين ؟

فقلت : نعم ولا بأس على منه

ثم استأنف الحديث قائلاً : أما متاعى فلا أعلم أين هو ولست أريد أن أهتم به

فقلت له : هذا هو « البرود » المحمود الذى يتميز به الانكليز . أما أنا فكثيراً ما اهتممت بمتاعى وكان كلما يرانى المرشد الذى معنا قلقاً مهتماً به يخبرنى أنه هو المسؤول عنه وينصحنى أن أريح نفسى وألا أخاف . لكنى كلما رأيت اهتمام سائر الزملاء بمتاعهم حذوت حذوهم . فضحك وقال : من أى البلاد أنت ؟

فقلت : من مصر وقدمت له بطاقتى فقدم لى بطاقته فاذا هو جراح من ليدز (Leeds)

وجلس تلك الجلسة الانكليزية المعروفة التى كثيراً ما يشاهدها الانسان فى القطار فى مصر باسطاً ساقيه على المقعد الذى أمامه وأخذ يدخن بغليونه متجاذباً معى أطراف الحديث فى شئون شتى . وكنت بكلامه وحديثه مسروراً الى أن سألنى : ألم تهتدوا فى بحثكم الى مخدر عام يعطى حقناً داخل الوريد ؟

فقلت : لا ؛ وكأننا بحثنا فلم نهتد ، والحقيقة أننا لم نبحث مطلقاً لأن مستشفياتنا خالية من نظام البحث الطبى (Medical Research) الذى أصبح له شأن عظيم فى تقدم الطب ورقيه .

ولقد مر علينا (الكمسارى) فرأى الزميل جالساً الجلسة التى وصفتها فأشار اليه اشارة يفهم منها أن هذه الجلسة تخالف القانون فبادر الزميل بالاعتذار وعمد الى معطفه الذى كان على الرف فأخذه وبسطه على المقعد وجلس كما كان جالساً . فأعجبتنى منه تلك الحيلة التى مكنته من الثبات على مبدئه فى جلوسه فى حدود القانون . وهى فضيلة من فضائل الانكليز . وحبذا لو حظرت مصلحة السكة الحديدية على الركاب وضع أرجلهم على المقاعد الخالية

ولقد وصلنا الى فلورنسة فى الساعة الثامنة مساء فعلمنا أن الجراح الذى كان عليه أن يقابلنا فى اليوم الخامس من ابريل أو كان علينا أن نقابله قد اعتذر عن المقابلة لغيابه عن المدينة فى مهمة ضرورية . ولذلك مضينا اليوم كله فى التفرج على محاسن المدينة وآثارها . ومن الغريب أنى صادفت فى فلورنسة كما صادفت فى غيرها من المدن التى زرتها كثيراً من الشبان اليابانيين وكلما قابلت واحداً منهم رأيته حاملاً كتاباً أو اكثر منهمكا فى الدرس والتحصيل . ومنهم من كان يطالع فى الكتاب وهو فى عربة الترام . وهى علامة على نهوض اليابان ان كان ينقصها علامة

وسافرنا الى روما فى صباح اليوم السادس من ابريل فوصلنا اليها بعد الظهر لافتتاح المؤتمر فى اليوم السابع من الشهر

وقد بدأ المؤتمر أعماله بوضع رعلة أو اكليل من الأزهار على قبر الجندى الإيطالى المجهول وقام بهذا العمل المندوبون الرسميون من البلاد المختلفة بالنيابة عن سائر الأعضاء . ثم احتفل بافتتاح المؤتمر فى صاله الكابيتول افتتحه رئيس الحكومة الايطالية السنيور موسوليني ثم قام بعده جناب محافظ روما فرئيس الجمعية الجراحية الدولية الأستاذ ويلمس فرئيس المؤتمر الدولى الجراحى السابع الأستاذ جيوردانو فالسكرتير العام الدكتور ماير

وقد حضر المؤتمر السابع ٣٦٦ عضواً من جميع أنحاء العالم . فحضر من بريطانيا العظمى نحو ٤٥ عضواً وحضر من مصر الدكتور لاطس بك والدكتور بتريدس وكلاهما من الاسكندرية وكاتب هذه السطور . وكان الجراح الشهير الدكتور على بك ابراهيم عاقداً نيته على السفر وكذلك الدكتور بابايانو فحالت دون سفرهما لسوء الحظ ظروف

ويصح أن أذكر تلك الكلمة التى قالها جناب السنيور موسوليني لما فيها من الفائدة . ولقد استهل كلمته بالترحيب بالنيابة عن الحكومة الايطالية بصفوة رجالات الجراحة من البلاد المختلفة ممن لهم الفضل العظيم فى النهوض بهذا الفن . ثم قال إن الجراحة كلمة يدل أصلها اليونانى على العلاج بالجرح أو باليد . ومن الظلم أن تقتصر هذه الكلمة على هذا المعنى الوضيع أو البسيط . لأن الجراح لابد أن يكون حاذقاً ماهراً متحلياً بكثير من الصفات المعنوية لكى تسترشد بها اليد فى عملها ليفوز المشراط بالتغلب على كثير من الأمراض

ولقد قال إن مما يسره أن تكون النهضة الأولى لفن الجراحة على تربة

إيطالية وذكر مدرسة سالرنو الطبية وذكر بعض من نبغ منها . فالجراح بيده الرشيقة الخفيفة، وبثبات قلبه ورزانته، وبحضور ذهنه وذكائه ، كثيراً مايخلص أجزاء جسم الانسان من أنياب المرض

ثم قال : ولقد اختبرت بنفسى وأنا جندى فى الحرب فضل الجراح على نفسى . وكذلك يعرف هذا الفضل الملايين من الجنود

فاحيي فيكم أنتم أبطال الاسعاف قيامكم بالواجب عليكم لانقاذ الأرواح الكثيرة . أحيي فيكم الهمة التى لاتنى والنشاط الذى لا يكل والعمل المتواصل . فانتم تمتازون عن أبطال الحروب لأنهم يستريحون فى نهاية الحرب ، ولكل حرب نهاية مهما طالت . أما أنتم فدائماً أبداً فى الميدان لا تألون جهداً فى اسعاف من يقع من الضحايا في ميدان الحياة . ولا شك أن ضحايا هذا الميدان اكثر كثيراً من ضحايا ميدان الحروب . أنتم أبطال المعارك اليومية التى تشنون غاراتها على الأمراض المختلفة

وقال أخيراً إنه يسره أن يرانا نازلين ضيوفاً فى روما راجياً منا قبول تحياته القلبية مع الاعجاب والاحترام

فصفق له الأعضاء تصفيقاً حاداً شديداً وهتفوا له هتافاً عظيماً . وتلاه من ذكرنا أسماءهم من الخطباء

ولما انتهت الجلسة وأخذ الأعضاء ينصرفون عقب انصراف الرئيس موسوليني سمعنا اضطراباً ورأينا هرجاً ومرجاً فتساءلنا عن السبب فقيل لنا إن سيدة أرادت الفتك بالرئيس فرمته وأشوته لأنها أخطأت المرمى فجاءت الرمية ولله الحمد فى غير مقتل إذ أصابته فى أنفه اصابة خفيفة على نحو ما علم القراء مما جاء فى البرقيات

ولقد أسعف الرئيس مباشرة ثم ركب سيارته بين التصفيق الشديد والهتاف العظيم الذى بلغ عنان السماء . وبادر المؤتمر الى تهنئته والدعاء له بعاجل الشفاء . وكنت ترى يومئذ الأعلام تخفق على البيوت والحوانيت والقصور والفنادق ، وكنت ترى أيضاً عربات الترام مزينة بالأعلام تسير وفيها الشبان الايطاليون يتظاهرون بالفرح والسرور لنجاة رئيس الحكومة موسوليني ، وجدير بهم أن يفعلوا ذلك لأن موسوليني رجل إيطاليا وواحدها لأنه نهض بها ولا يزال ينهض بها نهوضاً عظيماً

---

(١٦)

المؤتمر الجراحى الدولى السابع

عقد هذا المؤتمر جلساته فى مجمع المستوصفات (بوليكلينيك) الذى فى شارع همبرت الأول — ومجمع المستوصفات هذا هو أكبر مستشفى فى روما . ويتألف من جملة أجنحة كبيرة يتصل بعضها ببعض بواسطة دهاليز كبيرة فيها مصاعد . فهناك جناح لأمراض العيون ، وجناح للأمراض الباطنية ، وجناح للعوارض ، وجناح للجراحة ، وجناح لجراحة التشوهات ، وجناح لأمراض النساء والولادة وهكذا لكل فرع جناح . والمستشفى يحتوى على ألف سرير تقريباً ، وله منظر جميل . وفى مدخله العمومى يجد الإنسان نماذج صغيرة لجميع أجزاء المستشفى على نحو منضدة عظيمة مغطاة بالزجاج تسهل عليك فهم شكل المستشفى ونظامه

ودار البحث فى الجلسة الأولى على علاج سرطان الرحم مما كانت نتيجته

(٢٦) اعضاء المؤتمر الجراحى الدولى السابع الذى عقد فى ابريل سنة ١٩٢٦ فى روما

انه يعالج بالاستئصال بعملية جراحيـة فان لم تتيسر فليعالج بالأشعة المجهولة أو بالراديوم ، أو بهما معاً ، وذلك حسب الطرق الحديثة

ودار البحث فى الجلسة الثانية على علاج أورام المخ . وأغلب ما قيل فى هذا الموضوع قد يتجافى عن مألوف اكثر الجراحين فى مصر !

ولقد قام فى هذه الجلسة الدكتور ادسون وهو من روشستر فتكلم على نيورالجيا العصب التوأمى الثلاثى بانياً كلامه على تجاربه فى اكثر من ٩٠٠ حالة . وهو يفضل معالجته بالحقن بالكؤول فإن لم ينفع هذا الحقن قطع الجذر الخاص بالإحساس وأبقى الجذر الخاص بالحركة ووصف خطوات العملية ثم عرض علينا بالصور المتحركة طريقة العملية وبعض المرضى وهم فى حالة النوب قبل العلاج وبعض العلاج . ولما أبديت استغرابى لأحد رفقائى من هذه الخبرة الواسعة لأن هذا المرض نادر عرفنى ان هذا الدكتور متوفر على هذا المرض وأن المرضى تذهب إليه من جميع النواحى . ولقد أخبرنى أيضاً أن الظروف قد ساعدته وذهب إلى مستشفاه متفرجاً فرآه يعمل هذه العملية « بالجملة » ولقد قام بعده المستر سوتار يعرض علينا آلة بديعة من اختراعه لفتح الجمجمة وهى قريبة المشابهة بآلة كوديفيلا التى سبق الكلام عليها

وفى جلسة اليوم التاسع من ابريل تناقش أعضاء المؤتمر فى النتائج البعيدة لعلاج الصرع الجاكسونى Jacksonian Epilepsy علاجاً جراحياً ، وابتدأ الموضوع الدكتور لريش Leriche معتقداً أن المرض ناشئ عن ندبة فى الجوهر القشرى للمخ عقب رض ووصى باستئصال الندبة إن أمكن وقال إنه وجد للعلاج بالأشعة وللمحافظة على توازن السائل المخى الشوكى بعض

الفائدة . ثم قام بعده من ارتاب فى نشوء هـذا الصرع نشوءاً عارضياً مما لا يهم الجمهور

وكان موضوع المناقشة فى صباح العاشر من ابريل هو جراحة الطحال أما موضوع المساء فى اليوم نفسه فهو خراج الكبد

وبعد ذلك عقد المؤتمر فى صباح اليوم التاسع من ابريل جلسة ادارية أجمع المؤتمرون فيها على عقد المؤتمر الثامن فى سنة ١٩٢٩ فى فارصوفيا (بولندة) تلبية لدعوة وردته من الحكومة البولندية . وعينوا الأستاذ هارتمان رئيساً له . ثم تناقش الأعضاء فى مسألة قبول الأعضاء الألمانيين والنمسويين الذين حذفت أسماؤهم من العضوية بسبب الحرب العظمى . ولقد أثار هذه المسألة الأعضاء اليابانيون وكانوا قد كاتبوا سائر الأعضاء بشأنها قبل ميعاد المؤتمر . فكان القرار كما يأتى :

« يقبل جراحو الدول المتوسطة (المانيا والنمسا) الذين كانوا أعضاء فى الجمعية الجراحية الدوليـة قبل سنة ١٩٢٠ يوم تقبل الدولتان فى عصبة الأمم على شرط أن يقبل هؤلاء الأعضاء قانون سنة ١٩٢٠ » وهذا يقضى بزيادة رسم الاشتراك

ولعل فى هذا القرار شيئاً من ادماج السياسة فى العلم ادماجاً يبرره كون الجمعية الجراحية الدولية بلجيكية الجنس

ولعل هذه المسألة تسوقنى الى ذكر ما يجب أن أذكره مما جعلنى اعتقد أن المصرى غريب فى بلاده وأن الغريب صاحب الدار . فقد مثل مصر فى مؤتمر لندن فى سنة ١٩٢٣ الدكتور بتريدس وهو يونانى الجنس . ومثلها هذا

العام فى مؤتمر روما الدكتور لاضس بك وهو إيطالى الجنس . وإنى وإن كنت بعيداً عن التعصب ولا أميل اليه ، ومعتقداً بأن العلم لا وطن له ، ومؤمناً بأن مصر ليست بأكبر من أن تعان علمياً بل قد تكون هذه الإعانة العلمية ضرورية ، أقول وإنى وإن كنت لا أحفظ فى قلبى لهذين الدكتورين ولغيرهما من الزملاء الأجانب المقيمين فى مصر إلاَّ المحبة والاحترام ، أقول وإنى وإن كنت كذلك إلاَّ أنه قد تملكنى ساعة ان علمت بهذا التمثيل شىء من الغضب واستولى على نفسى شىء من الحزن والأسى . ولقد حادثت من تعرفت بهم من المندوبين الرسميين فوجدتهم على رأيى تماماً يعدون هذا التمثيل إهانة لمصر عامة وللأطباء المصريين خاصة . ولقد هممت أن احتج رسمياً فى المؤتمر لولا ان هؤلاء المندوبين أقنعونى أن المؤتمر لا ذنب له مطلقاً وأن اللوم كل اللوم علينا نحن الأطباء المصريين . فهل لسعادة رئيس الجمعية الطبية المصرية الجراح الشهير الدكتور على بك ابراهيم أن يعمل على تأسيس فرع للجمعية الجراحية الدولية فى مصر برئاسته فينتخب هذا الفرع من يشاء من المصريين لتمثيل مصر فى المؤتمر القادم ان شاء الله تعالى

(١٧)

الاسعاف الهوائى

تكرمت علينا وزارة الحربية الفرنسوية ونحن بالمؤتمر بارسال ضابط برتبة كولونل يشرح لنا طريقة نقل الجرحى بالطيارات مما يسميه الايطاليون بالطيران الصحى Aviazioni sanitaria ومما رأيت أن أسميه بالاسعاف الهوائى . فشرح لنا بالصور المتحركة كيف كانت الجرحى تنقل فى الزمن القديم بحمل الجريح أو بوضعه على حمار أو حصان حملاً أو نقلاً كثيراً ما يؤذى المصاب ثم تقدمت وسائل الاسعاف بتقدم وسائل النقل فصارت الجرحى تنقل فى العربات أو السيارات على نحو ما تقوم به جمعية الاسعاف فى مصر . ولكن القوم فى فرنسا وجدوا أن هذه الطريقة قد لا تفى بالغرض المقصود من اسعاف الجريح بالسرعة التى يقتضيها الاسعاف لبعد المستشفيات التى تعالج فيها الجرحى أحياناً عن المكان الذى يصابون فيه ولوعورة الطريق فى ما بينهما كما حدث ذلك فى الحرب المغربية الفرنسوية الأخيرة والحرب السورية الفرنسوية . ولذلك عمدوا لنوع جديد من الطيارات فاستخدموه لنقل الجرحى وهذا النوع من الطيارات يسير على الأرض كالسيارة فاذا لم تكن الطريق ممهدة لسيرها حلقت فى الجو كأنها طيارة . وهناك نوع آخر من السيارات قد يتحول عند اللزوم إلى رقاص بحرى فى الماء. ولقد أرانا هذا الكولونل بالصور المتحركة كيف تطير الطيارة من بلاد مختلفة فى المغرب الأقصى إلى بلاد أخرى فى فرنسا . وكانت هذه الصور توضح لنا المسافة ما بين البلاد المغربية والبلاد الفرنسوية بالكيلومترات وتوضح لنا أيضاً الزمن الذى تأخذه الطيارة

لقطع هذه المسافة مع مقابلة سرعتها بسرعة غيرها من وسائل النقل الأخرى

ولما انتهى الكولونل من محاضرته دعانا لمشاهدة طيارة من هذا النوع فى ميدان الطيران برومية فذهب كثير من أعضاء المؤتمر فى الميعاد المحدد لمشاهدة هذه الطيارة . وكنت من الذين ذهبوا . فرأينا الطيارة بعجلتين ولها فى مقدمها كالمجذافين وفيها كحجرة صغيرة تسع جريحين الواحد فوق الآخر وبجانبهما مقعد صغير للطبيب أو الجراح . وفى هذه الحجرة الصغيرة غلاية كهربائية لغلى الآلات الضرورية للاسعاف ، وفيها أيضاً دفاية كهربائية لتدفئة القطائف (البطاطين) التى يغطى بها الجريحان . وفيها أيضاً ترموس لحفظ حرارة الماء . وأمام هذه الحجرة مكان لسائق الطيارة

ثم شهدنا هذه الطيارة وقد أدخل فيها الأستاذ جيوردانو رئيس المؤتمر والأستاذ هارثمان رئيس المؤتمر القادم كأنهما جريحان دخل معهما الكولونل الفرنسوى كأنه طبيب . ثم صعد إلى الطيارة سائقها . ووقف جنديان ، جندى إلى كل جانب ، يدفع المجذاف الذى بجانبه نحو الجندى الآخر دفعاً دائرياً لتحريك محرك الطيارة . وربما كان هذان المجذافان اللذان فى مقدم الطيارة كتلك اليد التى تكون فى مقدم السيارة ويحركها السائق حركة دائرية لتسيير السيارة . ولما تحرك المحرك سارت الطيارة على الأرض فى ميدان الطيران وأنظارنا متجهة إليها . وبعد أن سارت نحو كيلومترين أو أكثر حلقت فى الجو فاذا هى طيارة . ولقد طارت مسافة بعيدة . ولبثت طائرة زمناً غير قصير ثم هبطت على بعد منا وتقدمت نحونا سائرة على الأرض كأنها سيارة . ثم أخرج الأستاذان منها كأنهما جريحان بين التصفيق والتهنئة بسلامة الوصول وقد كان المصور يأخذ صور الحركات المختلفة جميعها لعمل شريط لتمثيلها بالسينما

وقبل انصرافى من ميدان الطيران تقدمت للكولونل شاكراً وأبديت له إعجابى بما رأيت وسألته أمن الممكن الحصول على نسخة من الشريط الذى عرضه علينا فاعتذر قائلاً إنه يأسف لأن الشريط لوزارة الحربية ولا يظن أنها تقبل بيع نسخة منه . وكان غرضى من الحصول على الشريط أن أعرضه فى مصر بيانا لما وصل إليه القوم من الرقى فى وسائل اسعاف جرحاهم ومرضاهم والعناية بأمرهم عناية عظيمة ودليلاً فى الوقت نفسه على درجة تأخرنا تأخراً سوف يحاسب عليه أغنياؤنا وأولو الشأن فينا ، لا فى البرلمان ، ولكن فى الآخرة أمام الله ، حساباً عسيراً يوم يسألون عما قدمت أيديهم مما أعطاهم الله من ثروة أو سلطة أو نفوذ أو جاه رحمة بالفقراء وبراً بالانسانية . ولو اطلعت أيها القارىء على الصور المتحركة التى عرضت علينا لعلمت أن الطرق الأثرية القديمة التى كانت الجرحى والمرضى تنقل بها عندهم فى العصور السالفة هى الطرق الحديثة التى لا تزال شائعة عندنا فى القرن العشرين فى جميع بلاد القطر المصرى ما عدا البلاد التى فيها جمعية للاسعاف كمصر واسكندرية وطنطا

ولتعلم أن كثرة المستشفيات فى البلاد الراقية كثرة تجعل لكل مئة شخص تقريباً سريراً فى المستشفى ، وأن كثرة الأطباء فيها كثرة تسهل على المرضى والجرحى العلاج وتقربه إليهم ، وان سهولة المواصلات بتعدد الطرق السلطانية عندهم ، أقول ولتعلم أن كل ذلك مما يجعل تلك البلاد فى غير حاجة إلى استخدام الاسعاف الهوائى إلا فى أثناء الحرب . أما نحن فلحرمان بلادنا من العدد الكافى من المستشفيات ، ولحرمانها من العدد الكافى من الأطباء ، ولحرمانها من العدد الكافى من الطرق السلطانية فأشد حاجة منهم إلى هذا النوع من الاسعاف فى زمن السلم فقط . وكل أيامنا سلم حتى فى الخصام

وحتى فى حالة الاعتداء علينا ما دمنا محرومين من الجيش أيضاً

وحاشاى أن أدعو الآن لنظام الاسعاف الهوائى فى مصر ولكنى أدعو لكثرة المستشفيات ولكثرة الأطباء ، ولكثرة الطرق ، وهذه كلها لا تتيسر إلا بعد زمن طويل ولذلك أدعو ، بصفة اسعاف ، الى إنشاء جمعية اسعاف فى كل مركز على نسق جمعية الاسعاف فى مصر تؤدى إلى المركز ما تؤدى اليه جمعية الاسعاف من الخدمات الجليلة

ولم نحرم من الولائم فى أثناء المؤتمر لأننا دعينا لزيارة تيفولى فى مساء اليوم التاسع من ابريل . وكانت الدعوة من جراحى ايطاليا . فزرنا آثار تيفولى القديمة وشهدنا شلالاتها الجميلة وتناولنا الشاى . ومن سنن العرب تسمية الشىء باسم جزئه نحو قولهم « حرر فلان رقبة عبده » يريدون بذلك اطلاق سبيله فيستعملون الجزء وهو الرقبة عوض الكل . وهذا ما اتبعته فى قولى وتناولنا الشاى لأنه لم يكن إلا صنفاً من صنوف كثيرة تناولناها والموسيقى تشنف أسماعنا بنغماتها الشجية . وكذلك دعينا فى مساء العاشر من ابريل للحفلة الختامية للمؤتمر . فتناولنا العشاء فى الصالة البديعة التى فى فندق اكسلسيور Excelsior Hotel وهو أفخم فندق فى روما ولقد كانت هذه الحفلة دليلاً محسوساً على كرم الجراحين الايطاليين وعنايتهم بنا عناية تفوق حدود الشكر . ولقد جلست فى أثناء تناول العشاء فى هذه الحفلة الى يسار سيدة أظنها فرنسية جرى لى معها أو جرى لها معى حديث لا بأس من ايراده تفكيهة للقراء وخلاصته اننا لما وقفنا فى نهاية كلمة رئيس المؤتمر لنشرب فى صحة السنيور موسولينى قدمت لها قدحى ورجوت منها أن تصب لى فيه قليلا من قارورة الماء المعدنى التى كانت أمامها . فأخذت تصب فى القدح

وهى تقول . ما هكذا يشرب النخب . أمعود أنت ؟ فقلت : نعم ، وأردت اختصار الحديث لأنى كنت أريد سماع أقوال الخطباء

فقالت : أفى مثل هذه الظروف ولمثل هذه المناسبة تضرك جرعة من المشروب تتناولها مجاراة للناس !

فقلت : الحقيقة يا سيدتى انى مسلم يحرم علىّ دينى تناول شىء من الخمر سواء أكان قليلاً أم كثيراً

فقالت : من أى البلاد أنت ؟

فقلت : من مصر

فقالت : أكل المصريين مثلك

فقلت : منهم من هو مثلى ومنهم من هو مثلكم . وهنا علا الهتاف بحياة موسولينى فقلت مع الهاتفين قاطعاً الكلام « ليحيى موسولينى »

(١٨)

الاسعاف الهوائى

(تابع ما قبله)

الاسعاف الهوائى هو الاسم الذى تخيرته لما يسميه الايطاليون الطيران الصحى كما ذكرت . ويقصد بذلك الى استعمال نوع خاص من الطيارات لنقل الجرحى من ميادين الحرب الى المستشفيات . ويظهر أن وسائل الاسعاف تتقدم بتقدم وسائل النقل . فقد أتى على الانسان حين من الدهر كانت وسائل النقل براً لا تعدو عن الخيل والبغال والحمير والجمال ، ثم تقدمت فصارت بالعربات يشدها أنواع مختلفة من الحيوان ، ثم بالعربات تسير بالبخار

والكهربائية ، ثم بالسيارات التى عمادها على البنزين ، وها نحن نشهد الآن انتشار الطيران للانتقال من مكان الى مكان . وكانت وسائل النقل بحراً بالسفن الشراعية فأصبحت بالبواخر تدار أجهزتها البخارية إما بالفحم وإما بزيت البترول . وقد شهدنا فى مدة الحرب الكبرى انتشار الغواصات وما كانت تجره على قوم من المصائب فاذا هى فوائد للآخرين

ولقد سلكت وسائل الاسعاف هذا السبيل فكان الجريح أو المريض ينقل فى الأزمنة الغابرة حملا بالأيدى أو على ظهور الخيل والبغال والحمير والجمال نقلاً بغير نظام وقواعد، كثيراً ما يضر الجريح أو المريض ، ثم نظم النقل باليد والحرج (النقالة) فصار ينقل المصاب باليد إما بحامل واحد أو بحاملين أو بثلاثة

(١) نقل المصاب باليد بحامل واحد — يمكن نقل المصابين باصابات فى الرأس أو العنق أو الجزء العلوى من الصدر أو المصابين باغماء بحامل واحد بطريقة من الطرق الآتية :

(أ) وضع الاعتدال : يضع الناقل أو الحامل كتفه تحت إبط المصاب من الجهة السليمة ، ويضع المصاب ذراعه خلف الجزء الخلفى من عنق الحامل والكتف الاخرى ، ثم يقبض الحامل على ذراع المصاب التى على كتفه بيد هذا الجانب بينما تحيط ذراعه الاخرى بخاصرة المصاب (شكل ٢٣)

وبهذه الطريقة يمكن الانسان أن يسند المصاب لو أغمى عليه

(ب) ينقل المصاب على الذراعين كالطفل : يحمل الناقل المصاب بوضع احدى ذراعيه حول خصر المصاب والذراع الثانية أسفل ركبتيه ويكون المصاب فى موضع الجلوس . ولا يتيسر النقل بهذه الطريقة الا اذا كان المصاب خفيفاً والمسافة قصيرة (انظر شكل ٢٤)

(ج) يضع المصاب نفسه على ظهر الحامل واضعاً احدى ذراعيه على كتف الحامل ، ويضع الحامل ذراعيه أسفل ركبتى المصاب ، ويقبض باحدى رسغ المصاب فى الجانب الثانى وبذلك يمنعه من السقوط وبهذه الطريقة يمكن الانسان أن يحمل المصاب الذى يكون أثقل منه الى مسافة بعيدة (انظر شكل ٢٥)

(شكل ٢٣) (شكل ٢٤) (شكل ٢٥)

النقل باليد بحاملين — يستطيع الناقلان حمل المصاب (أ) بالمقاعد اليدوية أو (ب) بالمقاعد المدبرة أو (ج) فى الوضع الافقى

(أ) المقاعد اليدوية . تكون هذه المقاعد على اشكال كثيرة

مقعد اليدين — تناسب هذه الطريقة المصاب الخائر القوى الذى يلزم رفعه عن الأرض . ولحمل المصاب بهذه الطريقة يجلس احد الناقلين على يمين المصاب والآخر على يساره . ويكون وجههما نحوه . يركعان على الركبة بالقرب من قدميه ، ويضعان يديهما تحت إبطى المصاب ويرفعانه فى وضع نصف الجلوس ويسندانه بركبتيهما الثانيتين . وبعد ذلك يضعان يديهما تحت فخذ

المصاب ، ويشبكان يديهما بالأصابع مع جعل راحتيهما الى أعلى ، وبذلك يتكون المقعد ، ثم يقومان معاً بثبات ، ويرفعان المصاب من الأرض ويضعان فى الوقت نفسه اليدين الثانيتين على فخذيهما لاسناد ظهر المصاب ويطلب منه وضع احدى ذراعيه حول عنق احدهما والذراع الثانية حول عنق الآخر اذا لم يكن فاقد الشعور (شكل ٢٦ و ٢٧)

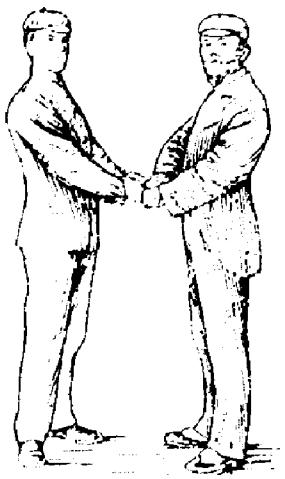

(شكل ٢٦)

(شكل ٢٧)

ويمكن شبك اليدين بالطريقة الموضحة فى (شكل ٦)

وليست هذه الطريقة سهلة لأنها تجعل ثقل المصاب كله على الذراعين وغالباً على الاصابع فلا تحمل المصاب الا فئة قليلة من العضلات

(شكل ٢٨)

مقعد ثلاث الايدى — لا تناسب هذه الطريقة الا المصابين الذين يستطيعون أن يسندوا أنفسهم فلا تستصوب لثقل المغمى عليهم ، لكنها طريقة متينة ويقوى فيها الناقلان على السير ويكون أسهل منه فى حالة المقعد باليدين أو بالأربع . والطريقة هى أن يجلسا على جانبى المصاب ويكون وجههما نحوه . ويقبض الحامل الذى على الجهة اليمنى ساعده اليسرى بيده اليمنى

ويقبض بيده اليسرى الساعد اليسرى للحامل الذى على الجهة اليسرى . ويقبض الأخير بيده اليسرى الساعد اليمنى للحامل الذى على الجهة اليمنى ويضع اليد الباقية على الكتف اليسرى للحامل الأيمن ، ثم يركع الحاملان ويضعان هذا المقعد تحت فخذى المصاب ، ويرفعانه ، ويسند المريض نفسه بوضع يديه حول عنقيهما

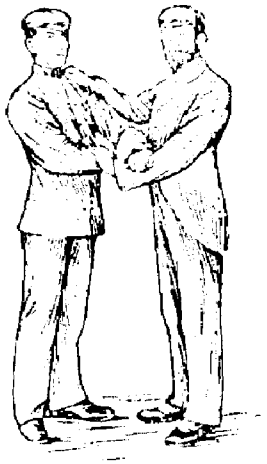

(شكل ٢٩)

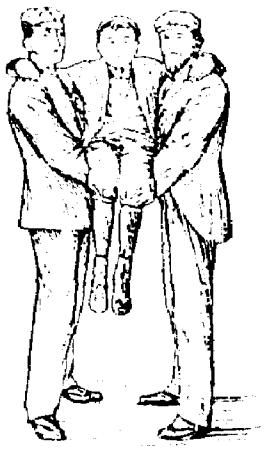

(شكل ٣٠)

مقعد أربع الأيدى — يناسب الحمل بهذه الطريقة المرضى الذين يستطيعون سند أنفسهم جيداً بوضع أيديهم على كتف حامليهم . والمقعد سهل لا خطر فيه على المصاب لأنه يكون محمولاً بكل العضلات الاعتيادية التى فى الذراع والطريقة هكذا : يأخذ الحاملان مكانهما من المصاب على جانبيه ويقبض كل منهما رسغه اليسرى بيده اليمنى ورسغ زميله بيده اليسرى (شكل ٣١) ثم ينحنيان ، ويضعان هذا المقعد أسفل فخذى المصاب الذى يضع ذراعيه حول عنقيهما بعد أن يتبوأ مكانه جيداً (شكل ٣٢ و ٣٣)

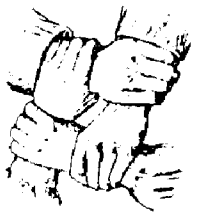

(شكل ٣١)

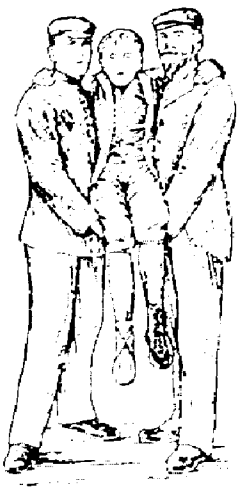

(شكل ٣٣)

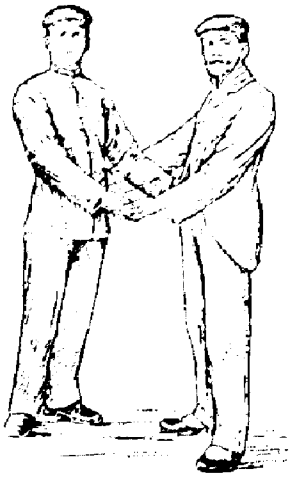

(شكل ٣٢)

(ب) المقاعد المدبرة - يسهل الحمل اذا استطاع الناقلان أن يدبرا مقعداً من حزام أو من حبل متين أو من قطعة قماش فيعملان مقعداً مستديراً يجلس عليه المصاب بدلاً من الأيدى

(ج) النقل فى الوضع الأفقى : يقف الحامل الأول عند رأس المصاب ، ثم ينحنى ، ويضع ذراعيه تحت كتفى المصاب ويعقد يديه أمام صدره ، ويقف الحامل الثانى أمام المصاب وبين قدميه بحيث يكون ظهره نحو المصاب ، ثم ينحنى ويقبض على رجليه خلف الركبتين . ثم ينتصب الحاملان معاً (شكل ٣٤)

(شكل ٣٤)

ويحسن أحياناً أن يضع الحامل الثانى كلتا الساقين على ذراع واحدة اذا كان المصاب سيدة . ويمكن أن يحمل المصاب بالطريقة الآتية : يقف الحاملان على جانب واحد ، وليكن ذلك فى جانب الاصابة اذا كانت فى الطرف السفلى ، ويكون الأول فى محاذاة الكتف والصدر

والثانى فى محاذاة الركبة والساق . ويركعان على ركبة واحدة ثم يرسل الأول يديه وذراعيه تحت كتفى المصاب وفخذيه ، ويرسل الثانى يديه منفصلتين تحت ساقه (شكل ٣٥) ثم يقومان بثبات معاً . ويطلب من المريض أن يضع ذراعيه حول عنق الحامل الأول إن استطاع (شكل ٣٦)

(شكل ٣٥)

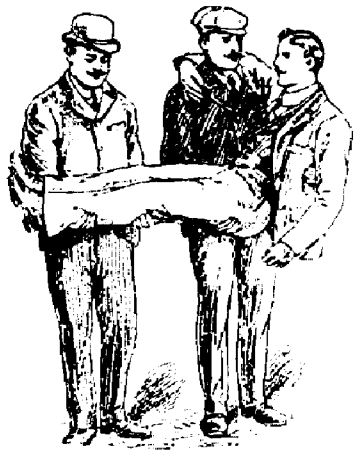

(شكل ٣٦)

(٣) النقل بثلاثة أشخاص — يسهل نقل المصاب باصابة شديدة فى الوضع الأفقى بثلاثة أشخاص ، وذلك بالطريقة الآتية : يقف اثنان على جانبى المصاب أحدهما على اليمين ، والآخر على اليسار ، ووجههما نحوه . ويقف الثالث فى محاذاة الركبتين ويكون فى جهة الاصابة اذا كانت فى الطرف السفلى . ثم يركعون كلهم على ركبة واحدة ، ويرسل الاثنان الأولان أيديهما تحت ظهر المصاب وفخذيه ويعقدان أصابعهما ويرسل الثالث يديه منفصلتين تحت الفخذين والساقين (شكل ٣٧) أو إن كانت الاصابة كسراً ، فليرسل احدى اليدين أعلى الكسر والأخرى أسفله . ثم يرفعون المريض وهم ساندوه أولاً على ركبهم ثم يقومون ، وليضع المصاب ذراعيه حول ظهر الاثنين الأولين إذا استطاع (شكل ٣٨)

(شكل ٣٨)

(شكل ٣٧)

ولما اخترعت السيارات استعملت أخيراً للاسعاف ، وكذلك كانت تستعمل البواخر فى أيام الحرب العظمى لنقل المرضى والجرحى .

ولقد فكر القوم أخيراً فى استعمال الطيارات للاسعاف مدفوعين بالسرعة التى يقتضيها الإسعاف وبعدم صلاحية الطرق أحياناً لمرور السيارات

ولقد اخترعوا طيارات بشكل غريب تصلح للسير على الأرض كالسيارة فاذا تعذر السير لعدم صلاحية الطريق حلقت فى الجو وصارت طيارة . كما ترى فى (شكل ٣٩)

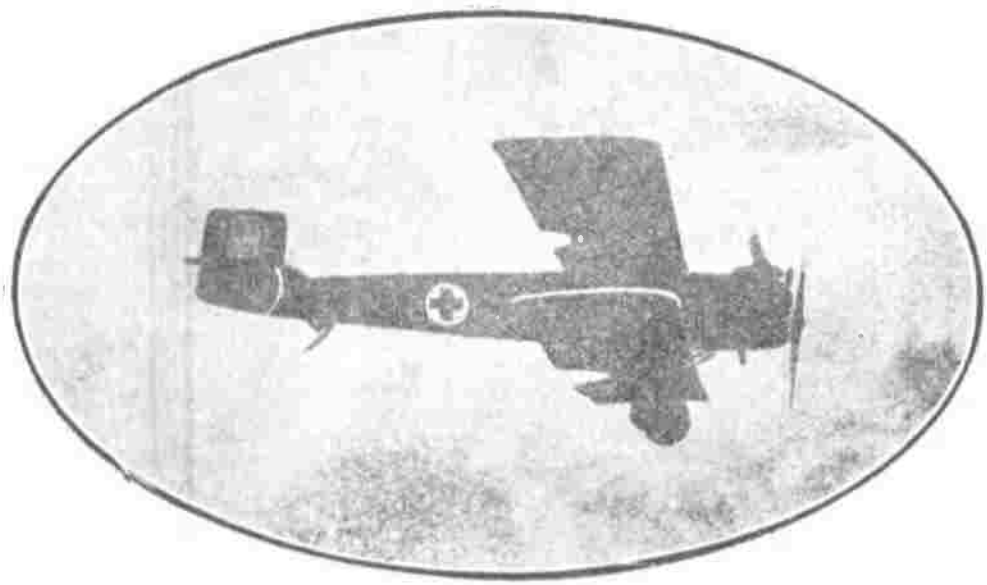

(شكل ٣٩)

وهذه الطيارة تسع جريحين الواحد فوق الآخر عدا السائق كما ترى فى (شكل ٤٠)

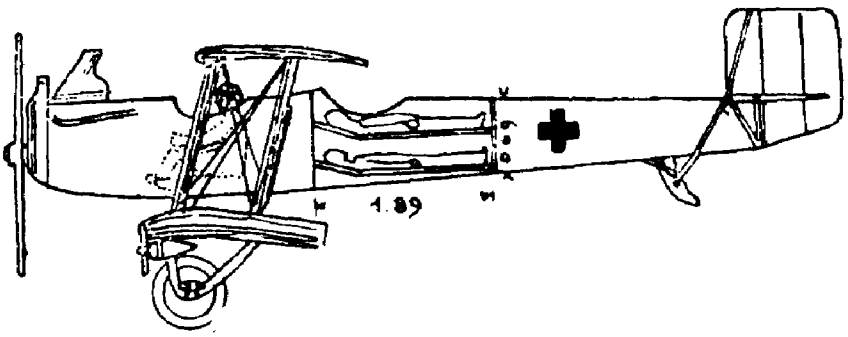

(شكل ٤٠)

وفيها أيضاً مكان للطبيب أو الممرض بجانب الجريحين .

ويوضح لك الشكل الحادى والأربعون طريقة ادخال الجريح فى الطيارة

والشكل الثانى والأربعون يوضح لك طرزاً حديثاً من الطيارات قد يتحول عند الضرورة إلى رفاص صغير يسبح فى البحر

أما الشكل الثالث والأربعون فيبين لك الجريح وهو نائم فى الطيارة

وفى داخل الطيارة غلاّية كهربائية لتعقيم الآلات الجراحية الضرورية للاسعاف ، وكذلك فيها دفاية كهربائية لتدفئة الجريح وتسخين القطائف التى يغطى بها . وفيها أيضاً ترموس .

ويستعمل الفرنسيون هـذه الطيارات لإسعاف جرحاهم فى الحرب السورية الفرنسية والحرب المراكشية الفرنسية اسعافاً هوائياً أتى بنتائج حميدة جداً لأنه سهّل نقل الجرحى من مراكش إلى فرنسا حيث تعمل لهم العمليات الضرورية فى الوقت المناسب بدون تأخير

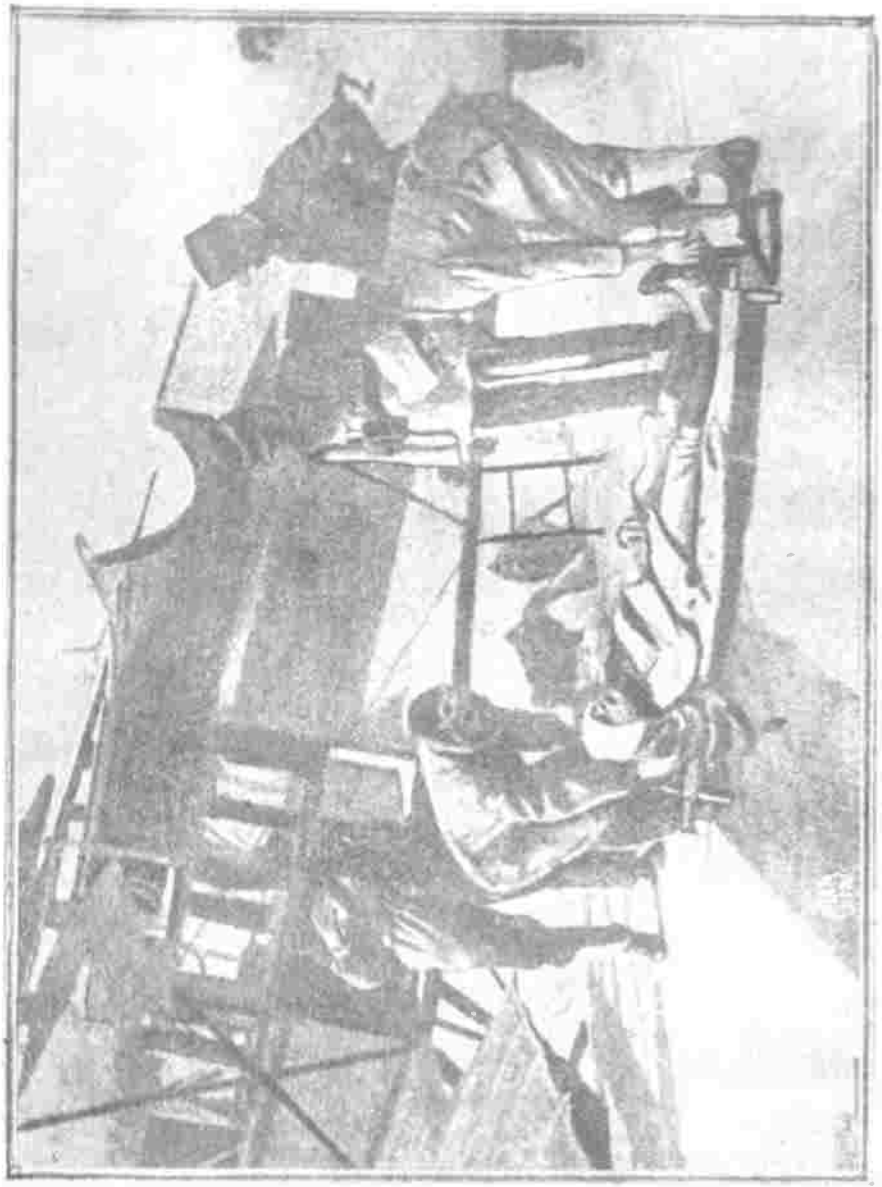

(شكل ٤١) طريقة ادخال الجرح فى الطيارة

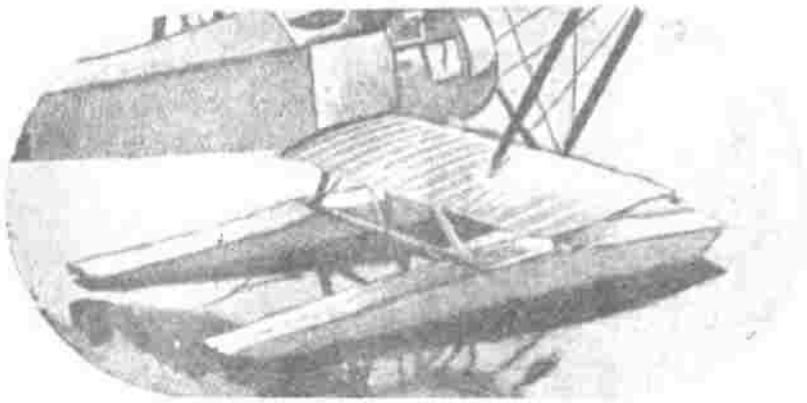

(شكل ٤٢) طيارة تتحول عند الضرورة الى رفاص صغير يسبح فى البحر

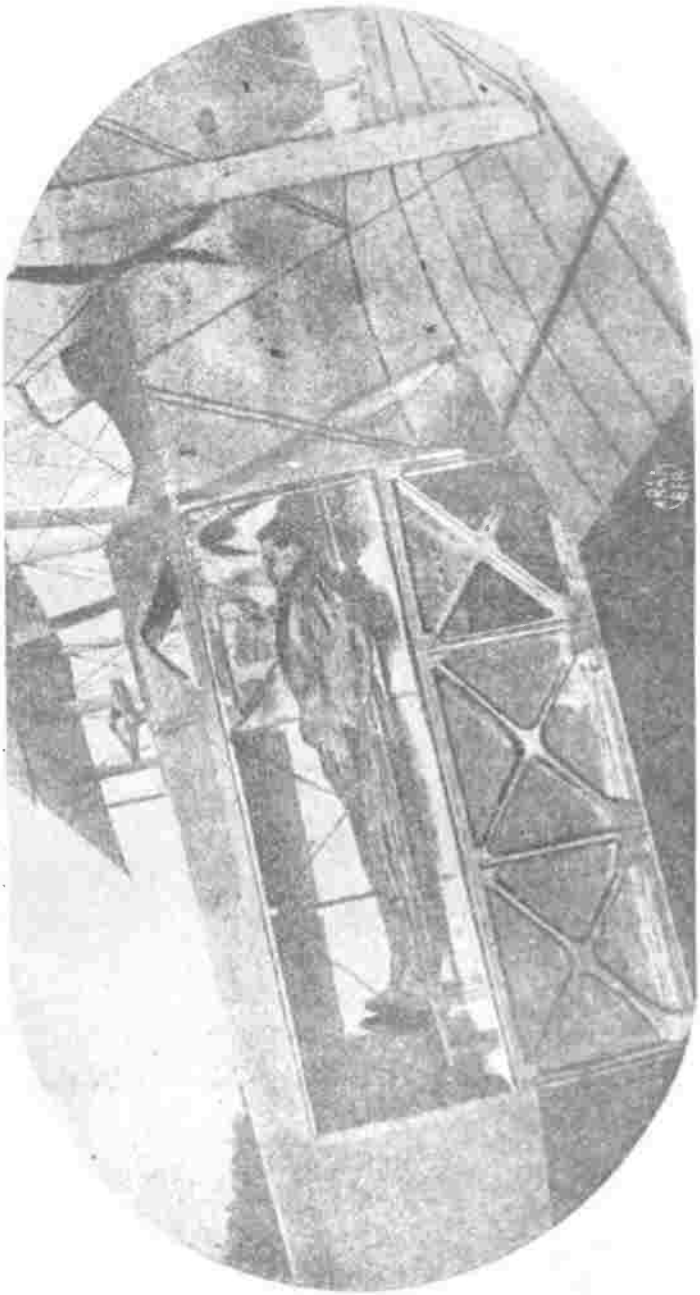

(شكل ٤٣) الجريح وهو نائم فى الطيارة

(١٩)

تعليم الطب

كنا ونحن بروما نرى كل يوم ، فى أثناء المؤتمر وبعده ببضعة أيام ، بياناً للعمليات الجراحية التى تعمل فى أغلب مستشفيات روما ، يذكر فيه أسماء الجراحين الذين يقومون بعملها ، ويوضح فيه وقت عملها ، فكان كل واحد منا يختار المستشفى الذى يذهب اليه تبعاً للعمليات التى يريد أن يراها أو تبعاً للجراح الذى يريد الواحد منا أن يراه وهو يعمل عملياته . فعزمت ذات يوم أن أرى الأستاذ فيدوفا وهو جراح التشوهات . وكان موعد العمليات فى اليوم الذى اخترته هو منتصف الساعة العاشرة صباحاً فى قسم جراحة التشوهات فى البوليكلينيك . وخرجت من الفندق مبكراً فى هذا اليوم لأنى وصلت إلى المستشفى فى منتصف الساعة الثامنة صباحاً ، ورأيت أن أستأذن فى الدخول الى المستشفى رجاء الاستفادة من علوم القوم وتجاربهم . ولشدَّ ما دهشت إذ علمت أن الاستاذ فيدوفا موجود فى المستشفى فى هذا الوقت . فقدمت له نفسى ورجوت منه أن يسمح لى بمرافقته لأطلع على أعماله فتكرم بالسماح لى مسروراً . وكان وقتئذٍ واقفاً مع مساعديه يفحص صورة بالأشعة المجهولة لمريضة مصابة بضلع عنقية فأطلعنى على هذه الصورة وغيرها من الصور التى توضح العامود الفقرى لهذه المريضة من أعلاه إلى أسفله ، وشرح لى حالة المريضة . ولقد تفضل فأرانى قسم جراحة التشوهات ، وانتهى بنا المسير إلى غرفة عمليات فيها مدرج (امفتياترو) للطلبة يتلقون عليه الدروس وإلى ناحية من المدرج سبورة للكتابة عليها فى إطار من المعدن المدهون

بالطلاء الأبيض . فلما دخلنا فى هذه الغرفة وجدنا الطلبة جالسين على المدرج . فأعطانى كرسياً وأشار إلى بالجلوس ففهمت أن عليه درساً . وكانت المريضة المصابة بالضلع العنقية حاضرة . ورأيت أحد المساعدين وقد وقف يتلو على الطلبة فى حضرة الاستاذ فيدوفا ما نسميه نحن الأطباء بورقة المشاهدة ، وهى ورقة يكتب فيها إسم المريض ، وعمره ، وصناعته ، ومحل إقامته ، وجنسيته ، وتاريخ مرضه ، والأعراض التى يشكو منها ، والعلامات التى تشاهد عليه ، ونتيجة الفحص ، وكذلك يدوّن فيها سير المرض . فتلا أربع صفحات كبيرة . ثم أخذ الاستاذ بعد أن انتهى المساعد من تلاوة المشاهدة فى شرح الضلع العنقية شرحاً وافياً . وعرض عليهم صور الأشعة التى أطلعنى عليها سابقاً . والضلع العنقية التى كانت موضوع الدرس من التشوهات الخلقية التى قد تشاهد فى سن البلوغ ، وهى ضلع تنشأ من النتوء المستعرض للفقرة العنقية السابعة ، وهما غالباً ضلعان فى كل جانب ضلع ، وتكون الضلع غضروفية أوّلاً ، ثم تصير عظمية بتقدم السن . وقد تكون قصيرة بطرف سائب فى العنق ، وقد تمتد حتى تصل الى عظم القص . وقلما يعرف هذا التشوه إلاّ إذا أحدث ضغطاً على الشريان تحت الترقوة وبعض فروع الضفيرة العصبية العضدية . وليس يهمك أيها القارئ أن تعرف ما يجب عَلَى الأطباء أن يعرفوه عن هذا الموضوع ؛ لكن المهم أن تعرف أن الاستاذ كان يلقى درسه على الطلبة فى تؤدة ورزانة وفى توسع وتبسط ولم يأل جهداً فى تفهيمهم الموضوع بكل حيلة ووسيلة مع أن الدرس كان عن مرض من الأمراض النادرة التى قلما يعنى بها الأساتذة أو الطلبة عندنا . لقد كان درسه باللغة الايطالية وأنا لا أفهمها مطلقاً ولكن يخيل لى أنه ذكر لهم كل ما أعرفه عن هذا المرض .

ولست ابالغ اذا قلت إني عرفت أشياء لم اكن أعرفها من قبل مما جعلني أستحضر في ذهني ما كر على من سوالف الأيام وأتمثل ما مر بي من الدروس التي تلقيتها وأنا بمدرسة الطب المصرية لأقابل بين الحالة التي كنا عليها والحالة التي رأيتها فوجدت أن الفرق عظيم بيننا وبينهم . ولقد غبطت هؤلاء الطلبة وقلت في نفسي : ألا ليت التلمذة تعود يوماً فأقضيها في مثل هذه الجامعة متلقياً الدروس على مثل هذا الاستاذ الذي يكد ويجد لتثقيف عقول طلبته . ولم يكد ينتهي من الدرس حتى حان موعد العمليات التي عملها بكل دقة ومهارة مبتدئاً بعملية الضلع العنقية التي استأصلها . وخرجت بعد انتهاء العمليات متحسراً على مصر قائلاً لنفسي أمدرسة طبية واحدة في مصر من أولها إلى آخرها ولا يكون التعليم فيها راقياً رقيه في أصغر الجامعات . وما أظن من الممكن النهوض بهذه المدرسة إلاَّ إذا تعددت المدارس الطبية في مصر وأخذت تتنافس والا اذا توفر الأساتذة على التدريس وانصرفوا اليه بكل همتهم وحظر عليهم ممارسة الطب في الخارج . وقلما يتيسر ذلك إلاَّ إذا زيدت مرتباتهم زيادة تحفظ كرامتهم وتجعل عيشتهم واسعة طيبة . ويصح أن يسمح لهم بممارسة الفن في الخارج مستشارين يستشيرهم الأطباء المعالجون مهتدين بخبرتهم وتجاربهم

تغير الطب في الزمن الأخير تغيراً محسوساً فبعد ان كان الطبيب في الزمن السالف يداوي الأمراض الباطنية ، ويعمل العمليات الجراحية ، ويعالج الأمراض الجلدية والزهرية والرمدية ، ويولد الوالدات ، ويتعهد الأولاد ويطبب النساء في أمراضهن صار لا يحسن إلا فرعاً من فروع الطب ؛ فهو إما طبيب للأمراض الباطنية أو جراح أو رمدي أو مولد أو طبيب أمراض نساء أو طبيب أطفال . وجدّت فروع أخرى تقتضي انصراف بعض الأطباء لها كالتخدير

وأعمال الأشعة المجهولة والأعمال البكتريولوجية والباثولوجية . هذا إلى الأطباء الذين يجب أن ينصرفوا إلى المسائل الصحية العامة ، والى الطب الشرعى . وهذا كله مما يقتضى زيادة عدد الأطباء زيادة عظيمة . لقد كان للاصلاح الصحى فى خطبة العرش نصيب عظيم وما أظن أن من الممكن القيام بهذا الاصلاح إلاَّ اذا أنشأنا المدارس الطبية التى تخرج الأطباء الذين عليهم عماد هذا الاصلاح ونهضنا بمستوى التعليم فى هذه المدارس . فالبلد فى حاجة الى مستشفيات كثيرة . والبلد فى حاجة الى عدد كبير من الأطباء ليكون فى كل قرية طبيب لا فى كل مركز طبيب ، لأن من العار أن نعتمد فى مسائلنا الصحية الطبية على حلاقى الصحة فى الوقت الذى فرغ فيه القوم فى البلاد الراقية من النظر فى مقاومة أغلب الأمراض ومكافحتها ، وأخذوا يهتمون بالعوارض كحوادث السيارات وحوادث المصانع ، وأصبحوا يعتقدون بعد أن خفت وطأة الأمراض المعدية عندهم أن المدينة التى تكون نسبة الوفيات فيها من حوادث السيارات معادلة لنسبة وفيات الدفتريا مثلاً لا تؤمن السكنى فيها مما جعلهم يبذلون جهدهم فى تقليل الحوادث والعوارض كما فعلوا فى تقليل الأمراض . ولا ريب أنهم وصلوا الى هذا الحد من الرقى بفضل كثرة عدد المدارس الطبية أولاً وبفضل كثرة عدد الأطباء ثانياً فهل نحن بهم متشبهون؟

(٢٠)

التخدير

وذهبت فى دفعة أخرى وأنا برومة الى مستشفى سان جيا كومو لمشاهدة العمليات التى قام بعملها الأستاذ اجيدى . وكان قد أعلن لنا أنه سيعرض علينا طريقته فى التخدير بالإيثير . ووصلت إلى المستشفى قبل حضور الأستاذ فانتظرته فى المدخل . ولما حضر عرفته بنفسى فسلم على مرحباً بى . ولم يذهب إلى المستشفى فى هذا اليوم من المؤتمرين غيرى فانفردت لحسن حظى بالأستاذ وانفرد هو بى فاطلعنى على المستشفى فاذا هو بناء قديم وفيه نحو مائة وخمسين سريراً وانتهى بنا الطواف إلى غرفة العمليات فرأيت فيها الجهاز الجميل الذى يستعمله لتخدير المرضى وهو يدار بمحرك كهربائى وينفع أيضاً فى الوقت نفسه لنزل السوائل من تجاويف الجسم ولص ما عسى أن يتجمع فى الحلق من المواد المخاطية فى أثناء التخدير . ثم أخذ فى عمل العمليات بعد تخدير المرضى بطريقته وكانت العملية الأولى فتقاً فى البطن ، والثانية قرحة معوية عمل فيها وصلاً معدياً معوياً ، والثالثة حملاً بوقياً خارج الرحم فاستأصله ، والرابعة ورماً فى الكلية اليسرى فاستأصلها ، أما العملية الخامسة فكانت استئصال ضلع بالتخدير الموضعى . وقد عمل هذه العمليات كلها بمهارة فائقة وحذق عظيم مما جعلنى أفهم سر امتلاء أسرة المستشفى بالمرضى بالرغم من قدمه وعدم نظامه . وإنى وإن خرجت من المستشفى مغتبطاً بما رأيت وعلمت من الفوائد الطبية إلا أنه قد خامرنى الشك فى صواب ما فعلت إذ ذهب المؤتمرون

جميعاً فى ناحية وذهبت وحدى فى ناحية فكأنى خالفت الاجماع الذى كاد يكون مطلقاً ولذلك عزمت أن أسأل كل من ألقاه من زملائى عما رأى فى المستشفى الذى ذهب إليه رجاء أن أدرك بعض ما فاتنى . فسألت زميلاً لى ونحن نتناول الغداء : إلى أى مستشفى ذهبت اليوم وماذا رأيت ؟ فقال : ذهبت إلى البوليكلينيك لمشاهدة الأستاذ اسكندر (Prof. Alessandri) وقد استأصل الطحال فى عملية ، واستأصل الرحم لأورام فيبرومية فى عملية أخرى ، ووصل المعدة بالمعى لقرحة معدية فى المعدة ، واستأصل كيساً ديدانياً ، فى عملية رابعة . واستأصل الكلية لاصابتها باستسقاء كاوى . فقلت : وهل من جديد فى ما رأيت ؟ وهل سررت من عمله ؟ فأجاب : أما الجديد فهو استعماله المركروكروم[1] (Mercurochrome) لتطهير الجلد فى موضع العمليات ، وأما عمله فلم أتمكن من تتبع الخطوات جيداً لأن الزحام فى غرفة العمليات كان شديداً جداً لأن أغلب المؤتمرين كانوا فيها . فقلت : أما المركروكروم فكثيراً ما طالعت عنه فى المجلات والصحائف الطبية وأردت

(١) المركروكروم (٢٢٠) من المطهرات التى نالت شهرة عظيمة فى بلاد مختلفة مع أنه حديث العهد اذ جرب فى سنة ١٩١٩ . وقد وجد أنه مطهر عام كبير الفائدة واذا استعمل فى محلول بنسبة ٢ فى المائة للجروح أو الأغشية المخاطية كان له تأثير مطهر قوى واستمر تأثيره مدة طويلة ولا يحدث منه الا تهيج موضعى قليل . وقد استعمل حقناً داخل الوريد فى محلول بنسبة ١ فى المائة بمقدار خمسة ملليجرامات لكل كيلو من وزن الجسم وجرب لأغراض كثيرة بنتائج حميدة فى بعضها . وقد ذكر بعضهم أخيراً أنه جربه فى ٦٨٠ حالة . منها ١٧٣ حالة تسمم دموى شفى منها ٦٣ . وقد ذكرت له نتائج حميدة فى الجذام وفى الجمرة الخبيثة وفى الملاريا وقد جرب أيضاً فى الالتهاب الدماغى الحاد فأتى بفائدة . وهو مادة قوية قد يطرأ عنها بعض عوارض كالالتهاب القولونى من تأثير الزئبق فى الأمعاء . وكالالتهاب الكلوى بعد حقنه داخل الوريد . وبعضهم ينكر هذه المضاعفة لو أحسن استعماله

تجربته لكن مخازن الأدوية عندنا لا تستورد الحديث إلا إذا أصبح قديماً .
وأما الزحام الشديد فقاعدة مطردة فى روح الاجتماع لأنك كثيراً ما ترى الجموع أو الجماعات تساق إلى عمل تسوقها اليه كلمة أو إشارة من زعيم أو شبه زعيم فاذا خلت الأفراد إلى نفسها وفكرت فى ما عملت استنكرته استنكاراً عظيماً واستغربت العمل لأنه كان بغير تدبر وتبصر . وضربت له مثلاً بائعى ليمونادة بالسيفون على ناصية طريق لا يبعد الواحد عن الآخر اكثر من خمسة أمتار فقد كنت ألاحظ الزحام على احدهما فلا يستطيع الانسان أن يتناول القدح من الشراب إلا بعد أن ينتظر طويلاً ريثما يأتى دوره بينما ترى الآخر واقفاً لا عمل له من الكساد . ولقد حاولت أن أجد سبباً أبرر به اقبال الناس على أحدهما ونفورهم من الآخر فلم استطع فاجتزأت بالقاعدة الاجتماعية التى ذكرتها لك . وفيما أنا التمس مناسبة استطرد منها إلى الكلام فى التخدير اذا به يسأل : إلى أى مستشفى ذهبت فانى لم أرك معنا ؟ فكدت أقول له « عمرك أطول من عمرى » وهى الكلمة التى يقولها الانسان مازحاً لمحاوره إذا سبقه بالكلام الذى يريد ان يقوله ولكنى أجبت : ذهبت إلى مستشفى سان جيا كومو للاطلاع على طريقة الأستاذ اجيدى للتخدير بالإيثير . ذلك لأنى منذ ما سمعت جراحاً انكليزياً كبيراً يقول فى الجمعية الطبية البريطانية التى انعقدت فى بورتسموث فى سنة ١٩٢٣ ما معناه أنه لا يفهم عقلية ذلك الجراح الذى يسمح بتخدير مريضه بالكلوروفورم إذا كانت عمليته تستغرق زمناً طويلاً ولا سيما إذا كان المرض مصحوباً بتقيح مزمن وأنا أريد أن اتخلص من استعمال هذا المخدر إن استطعت إلى ذلك سبيلاً . ويكاد يمس قول هذا الجراح الانكليزى جميع الجراحين المصريين وأنا أولهم لأنى كنت يومئذ أشدهم ولاء للكلوروفورم

فقال لى الزميل مستغرباً هل الكلوروفورم شائع إلى هذا الحد فى مصر؟ فقلت نعم ، لكن البعض يستعمل التخدير الشوكى بالاستوفائين للعمليات التى هى أسفل السرة وقد حذوت حذوهم منذ ما عرفت هذا الرأى . فقال ألا تعلم أن اللجنة الفرعية للتخدير من الجمعية الطبية الأمريكية قد قررت عدم استعمال الكلوروفورم إلا لاستدراج المدمنين على الشرب للتخدير وإلا لأحوال الولادة العسرة وذلك منذ سنة ١٩١٢ ؟ ويخيل لى أنى قرأت ما يفيد أن مستشفى مايو (Mayo Clinic) قد استعمل التخدير فى أكثر من ١٧٠٠٠ حالة فى سنة ١٩٢٣ بغير أن يضطر للتخدير بالكلوروفورم دفعة واحدة أما نحن فقد نحونا نحوهم وأصبحنا الآن لا نستعمل الكلوروفورم إلا نادراً وإذا استعملناه لا نستعمله صرفاً بل ممزوجاً بغيره كالإيثير والكؤول . والسبب فى عدولنا عنه ما يحدث عنه من الخطر أحياناً بوقف التنفس أو بهبوط الضغط الدموى أو بتأثيره السام المتأخر أو بالاغماء . وانتهى الكلام بانتهاء الطعام . وصدق من قال : اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال لأنى جلست فى السهرة مع زميل أمريكى أتجاذب معه أطراف الحديث فانتقلت به إلى موضوع التخدير فاستفدت أشياء يصح أن أطرحها لحضرات القراء أمانى نعلل النفس ببلوغها فقد قال :

إن للتخدير شأناً عظيماً فى سمعة المستشفيات بدليل ما يسمعه الانسان كثيراً من المرضى إذ يقول الواحد منهم « خائف يا دكتور من البنج » ولذلك أصبح فرعاً مخصوصاً من الطب يتوفر عليه بعض الأطباء كما يتوفر البعض على فروع أخرى . ويجب أن يكون له فى مدارس الطب أساتذة يتلقى عليهم الطلبة فن التخدير لكى يحذقوه . وليس يؤمن أن يعهد بالتخدير إلى طبيب

أو صيدلى أو طبيبة أو باشتمورجى ممن لا يتجاوز التخدير فى نظرهم سوى تقطير المخدر شيئاً فشيئاً حتى يسكن المريض، ثم ينقطع عن التقطير حتى يتحرك المريض أو يتأوه فيعود إلى التقطير حتى يسكن وهكذا حتى تنتهى العملية بين حركة وسكون ويقظة ونوم. وكان يكون ذلك محتملاً لو بقيت الجراحة على عهدها القديم لا تتجاوز فتح خراج أو استئصال ورم صغير من سطح الجسم أو استخراج حصاة أو رمة عظمية. أما الآن فقد تقدمت الجراحة تقدماً عظيماً يقتضى أن يقوم بالتخدير فى كل مستشفى وفى كل عيادة خصوصية طبيب متوفر على التخدير أو اكثر يفحص المريض قبل أوان العملية فحصاً كاملاً ليعرف أى نوع يناسبه وأى طريقة من التخدير أوفق ويعطى المريض فى وقت العملية المخدر المناسب بالطريقة المناسبة موجهاً همه لملاحظة المريض ملاحظة شديدة مستعيناً على ذلك بتسجيل الضغط الدموى فى أثناء العملية ثم هو بعد انتهاء العملية يراقب المريض متعاوناً فى كل هذه الأدوار مع الجراح تعاوناً دقيقاً ضرورياً لسلامة المريض.

وحسبك دليلاً على ضرورة هذا النظام أن تعرف كيف يصعب على الجراح مهما كان حاذقاً ماهراً وسريعاً فى عمله أن يعمل عملية لمريض فى بطنه اذا تولى التخدير طبيب غير متوفر على التخدير فانك وقتئذ كثيراً ما ترى الجراح ينقطع عن عمله فى أثناء العملية محاولاً هو ومساعده صد الأمعاء ومنعها من الخروج من الجرح المرة بعد الأخرى. فاذا جاء وقت خياطة الجرح رأيت كل غرزة يضعها فى البريتون وهى تتمزق الغرزة بعد الأخرى مما يكاد يخرجه عن صوابه ومما يزيد فى خطر العملية ويؤثر فى المريض تأثيراً شديداً قد يقضى عليه. لذلك نحن نحاول فى أمريكا أن نجعل فى كل مستشفى قسماً

خاصاً بالتخدير يقوم بالعمل فيه طبيب أو أكثر حسب حالة العمل . فقلت له : يخيل الى أن خطر التخدير فى بلادكم أقل من خطر عبور الشارع المزدحم فقال : هذا صحيح . فقلت : لا بد أن نتشبه بكم ! ولعل أفضل طريقة أن يعنى أولو الشأن عندنا بارسال بعض الأطباء الى البلاد المختلفة لدرس فن التخدير درساً وافياً حتى إذا عادوا إلينا عادوا بالخير العظيم . وههنا انتهت السهرة فاستأذنت منصرفاً قائلاً لزميلى : ليلة سعيدة . وكان يصح أن أقول له لو كان يفهم اللغة العربية أفادكم الله ونفعنا بعلومكم

---

(٢١)

بمبايى وفيزوف

اشترك بعض أعضاء المؤتمر فى رحلة ثانية تبتدىء بعد انتهائه . وكنت فيها من المشتركين . واختلفت هذه الرحلة عن سابقتها بخلوها من الفوائد الطبية فلم نقابل أحداً من الجراحين ولم نزر المستشفيات . فغادرنا روما فى صباح يوم ١٣ ابريل بعد ما لقينا فيها من آيات الترحيب ما دل على كرم الجراحين الايطاليين بل ما دل على كرم ايطاليا كلها ، فقد كانت كلمة المؤتمر أو القافلة كالسحر تأثيراً إذا ذكرها الانسان مهد له الطريق وفتحت له الأبواب وقضيت له حوائجه مما يتجاوز حدود الشكر . وبعد ان رأينا فيها من علامات النشاط الطبى والتقدم العلمى ما يدل على أن ايطاليا ناهضة قد قطعت من طريق النهوض شوطاً عظيماً . وكانت وجهتنا نابولى فوصلنا اليها بعد الظهر . ولم نكد نستريح من وعثاء السفر حتى قمنا فى مساء اليوم نفسه لزيارة

الآثار المختلفة وموضع تربية الأسماك . ونابولى مدينة مشهورة بجمالها إذ يمتد جزء عظيم منها على الشاطئ على شكل مدرج يرتفع شيئاً فشيئاً فترى كل صف من البيوت أو القصور يعلو عن الذى قبله ، وبذلك يشرف كل الصفوف على البحر تتلقى منه هواءه العليل ومنظره الجميل

وفى صباح اليوم التالى ذهبنا بالقطار الى بوليانو (Pugliano) ومنها ركبنا الترام الصاعد (Chemin de fer à crémaillère) حتى قمة القرقوس فيزوف .

(٤٤) خط الترام الصاعد من بوليانو الى فوهة البركان

والقرقوس على ما جاء فى لسان العرب « القيع الأملس الغليظ الأجرد الذى ليس عليه شيء وربما نبع فيه ماء ولكنه محترق خبيث إنما هو مثل قطعة من النار ويكون مرتفعاً ومطمئناً وهى أرض مسحورة خبيثة ومن سحرها أيبس الله نبتها ومنعه » ولعل هذا الوصف أقرب الأشياء الى ما يسمى الآن البركان أو جبل النار كفيزوف الذى نحن بصدده . ومن وصل الى قمته كما وصلنا فشاهد الدخان وهو يتصاعد من فوهته تصاعداً غير منقطع : يشتد من وقت لآخر فيسمع له دوى شديد كالرعد أو أشد . ويخرج منه لسان من اللهب — أقول من وصل الى قمته وشاهد ذلك أو شك أن يجارى الأقدمين فى معتقدهم أنها أرض مسحورة خبيثة ولو كان عالماً بطبقات الأرض وطبائعها .

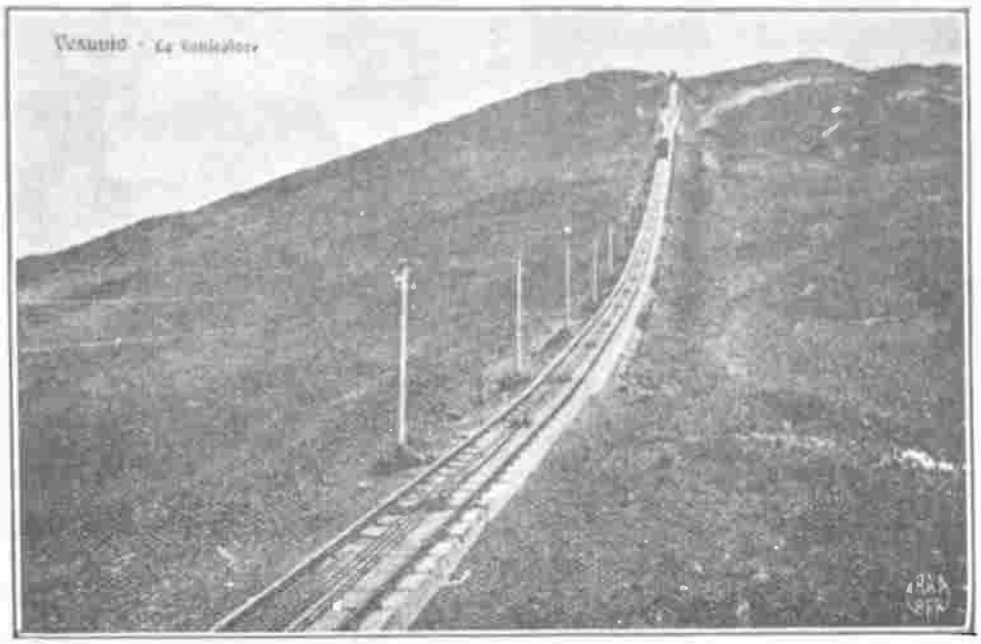

(٤٥) السكة الحديدية للترام الصاعد لفوهة البركان

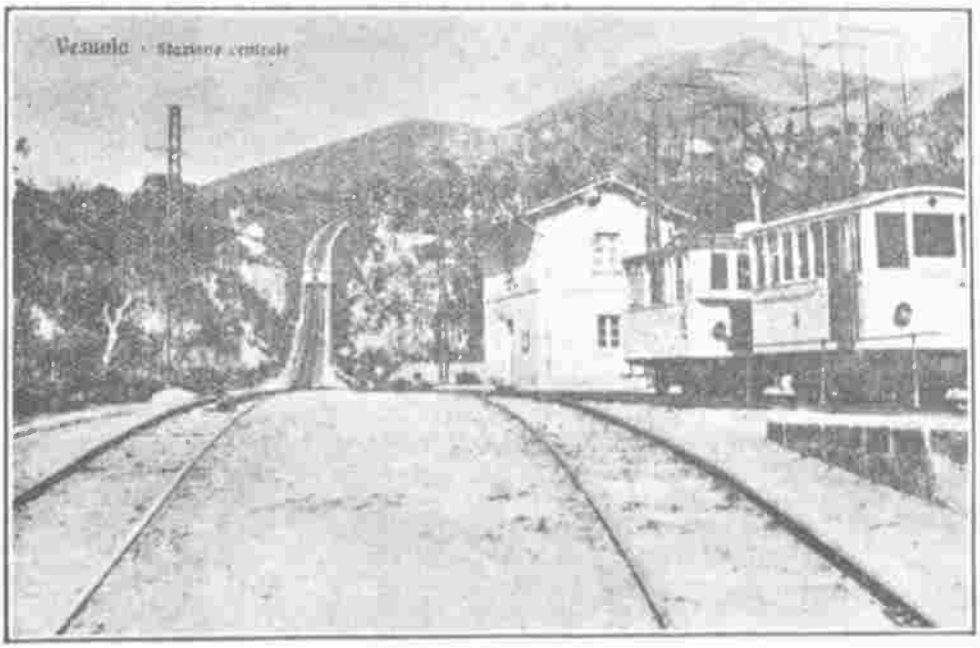

(٤٦) المحطة المركزية للترام الصاعد

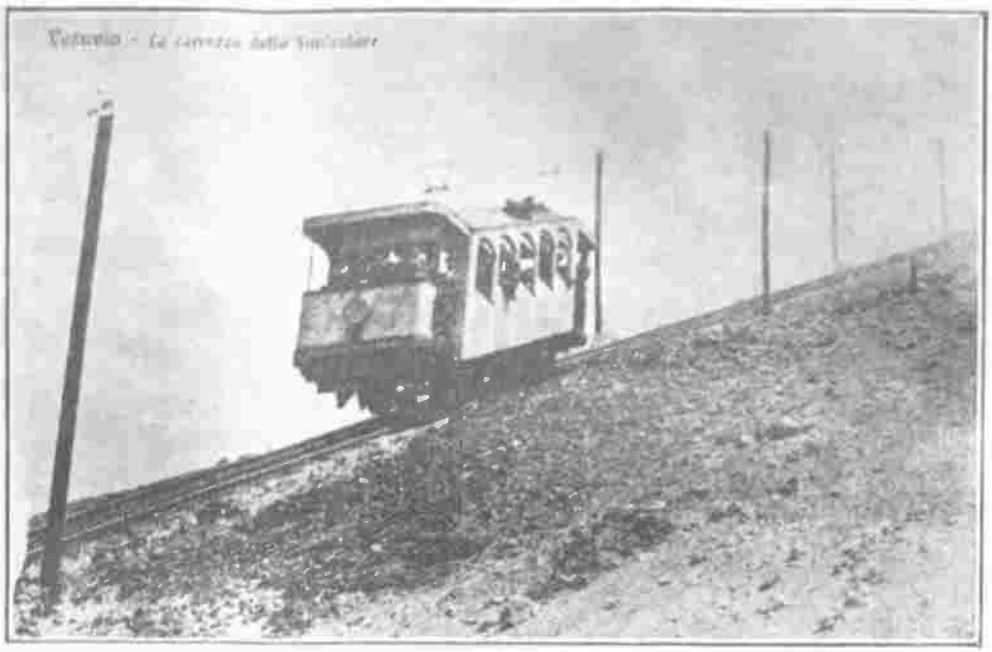

(٤٧) عربة الترام الصاعد

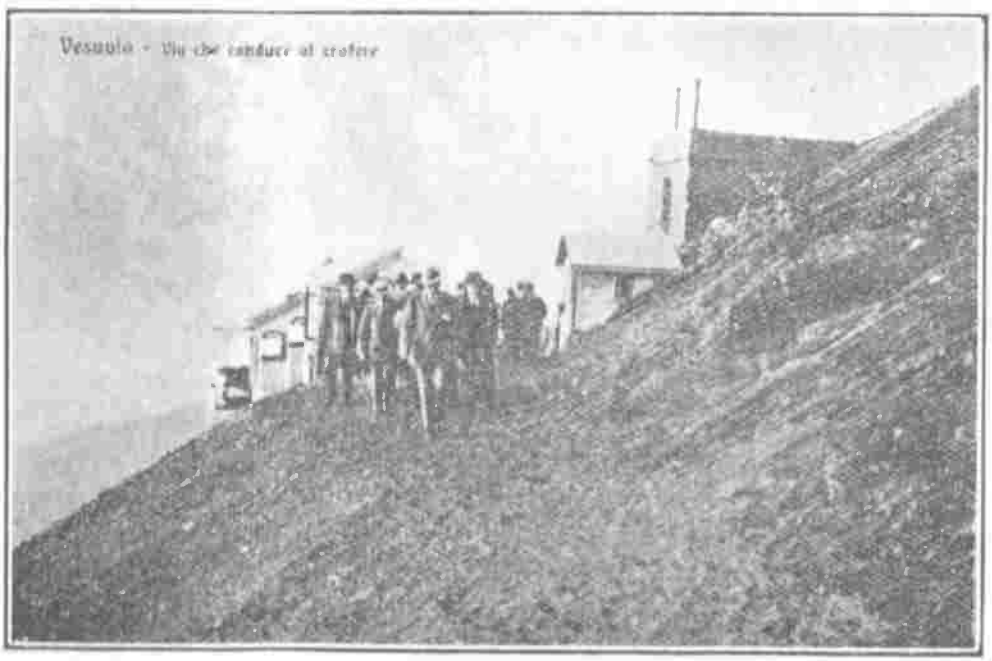

(٤٨) الطريق الموصل لفوهة البركان

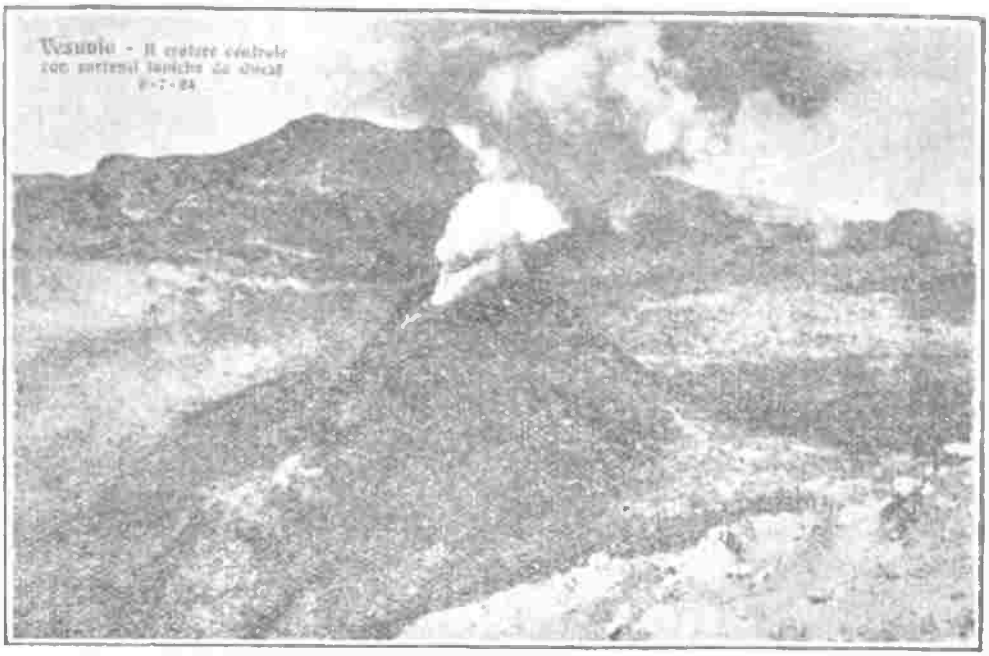

(٤٩) فوهة البركان واللهب يتصاعد منها

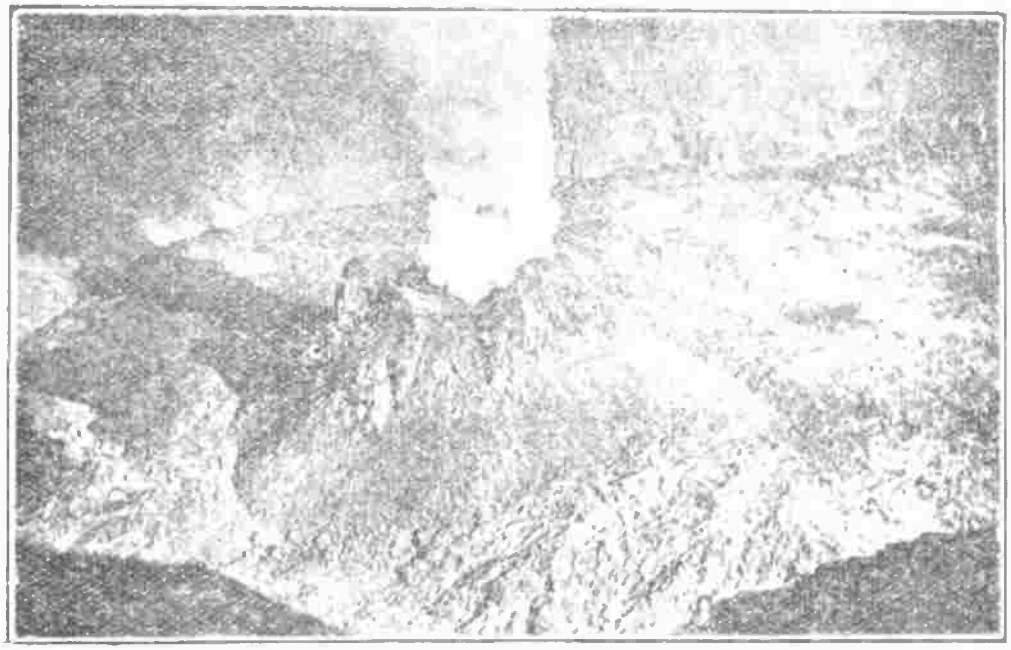

(٥٠) منظر آخر لفوهة البركان واللهب يتصاعد منها

وفيما نحن واقفون نشاهد هذا المنظر فى دهشة وذهول التفت إلى رفيق وقلت له مازحاً : لوكان جبل النار هذا فى بلادنا لعرفنا كيف نستخدم هذا اللهب لأغراض شتى . وكأنه لم يفطن إلى أنى أقول الهزل فى قالب الجد فأجاب : عندنا فى بلادنا وهى اسلندة (Iceland) ينابيع حارة قد استخدمنا ماءها الساخن لتدفئة بعض البيوت المجاورة بنقله فى مواسير . فخجلت من أن أصارحه بالحقيقة من أن فى بلادنا قوى طبيعية كالتى فى شلالات اسوان وغيرها ولم نفكر فى استثمارها . وحمدت الله على جهل هذا الزميل بمصر وعزمت ألاّ أعود فى كلامى مع زملائى إلى أسلوب الهزل الجدى أو الجد الهزلى مخافة أن ينكشف الأمر فأكون من الهازلين . وتناولنا الغداء فى فندق على الجبل فى طريقنا إلى القمة . وذهبنا بعد الغداء لمشاهدة آثار بمبيه

وبمبيه كانت مدينة جميلة فى حيازة خليج نابولى يسكنها الأغنياء

(٥١) صريع من صرعى النسف وجد تحت الردم فى بمبيه

والأشراف وذو الوجاهة ممن يعبر عنهم بالارستوقراطيين فزلزلت أرضها زلزلة عنيفة فى سنة ٦٣ ميلادية جعلت عاليها سافلها وخربت بيوتها وقصورها

ومبانيها . ولم يكد القوم يفرغون من تعمير ما خرب وتشييد ما هدم حتى نسفها فيزوف فى سنة ٧٩ ميلادية . نسفها بما أخرجه من باطنه من الدخان والرماد والحجارة وأرسلها على المدينة كسفاً عظيمة غطتها ثم ردمتها بمن فيها من السكان فاختفت معالمها وأصبحت كأنها لم تكن وكأن أهلها لم يغنوا فيها بالأمس . واستمرت الحال على هذا المنوال الى منتصف القرن الثامن عشر إذ عثر بعض القوم على بعض الآثار ثم أخذوا يكشفون عن هـذه المدينة غطاءها من الردم الى أن وصلت إلى ما هى عليه الآن . ولقد أخذ المطوف أو المرشد يطلعنا على شوارع المدينة وبيوتها وقصورها وحماماتها العمومية ومراسح التمثيل وغير ذلك . فأما الشوارع فكلها مستقيمة ، ومنها ما عرضه ٢٤ قدماً ومنها ما عرضه ١٤ قدماً ، جميعها مبلطة بلاطاً متيناً . وأما البيوت والقصور فيكاد يكون أغلبها على نسق واحد فى الشكل والترتيب حتى لقد تجد هذا الشكل موضحاً فى كتب السياحة الخاصـة بمبيه مما جعلنى أتساءل هل كان لأولئك القوم قانون صحى يحتم عليهم البناء على نسق واحد فان صح زعمى وكان لهم قانون فقد وصل القوم وهم فى القرن الأول إلى درجة من الرقى الصحى لم نصل اليها ونحن فى القرن العشرين . أما الحمامات العمومية وكثرتها والمراسح

(٥٢) بيت جراح فى بمبيه

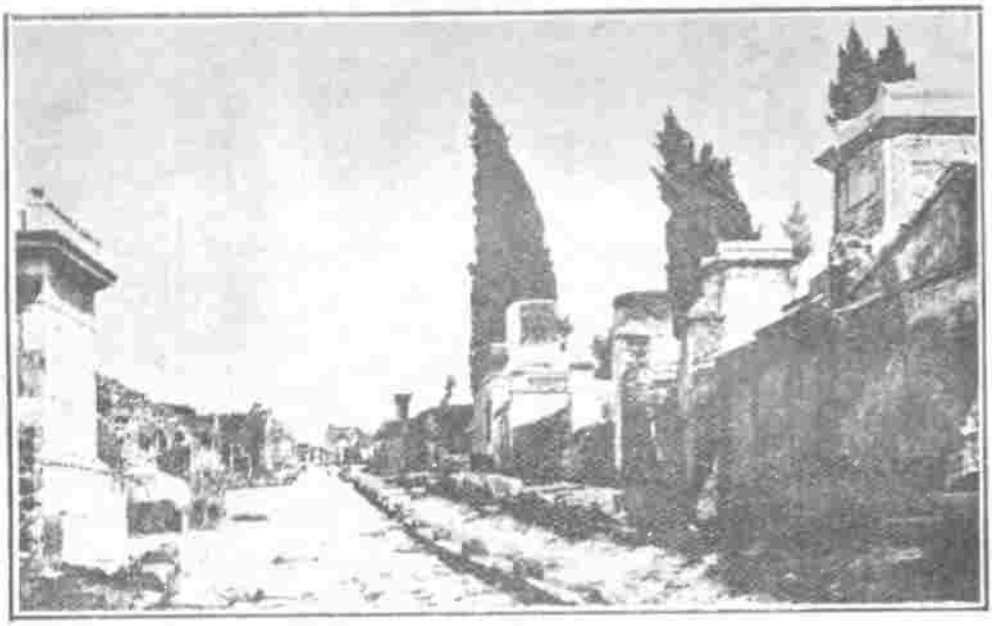

(٥٣) شارع المقابر فى بمبيه كما يرى من الغرب الى الشرق

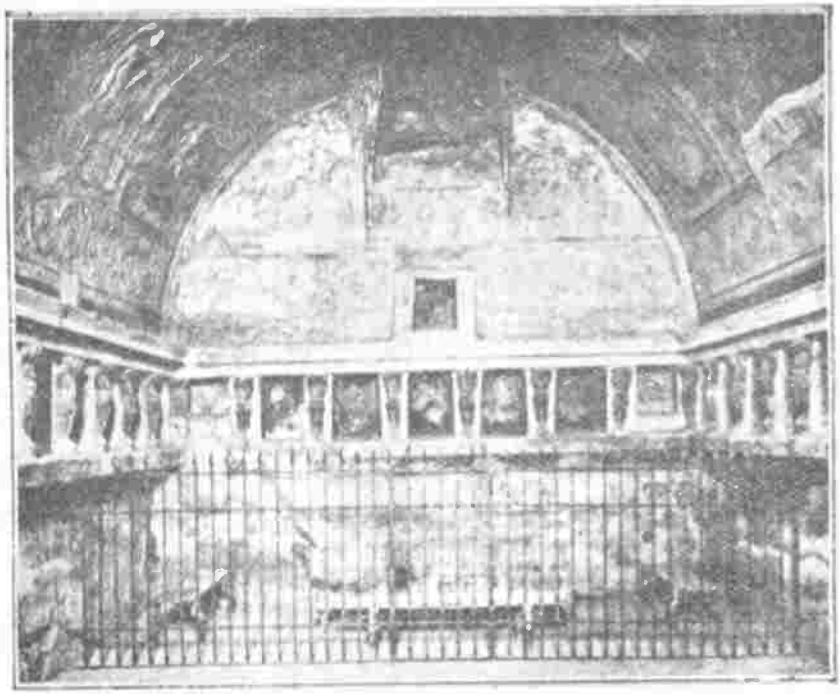

(٥٤) حمام من حمامات بمبيه

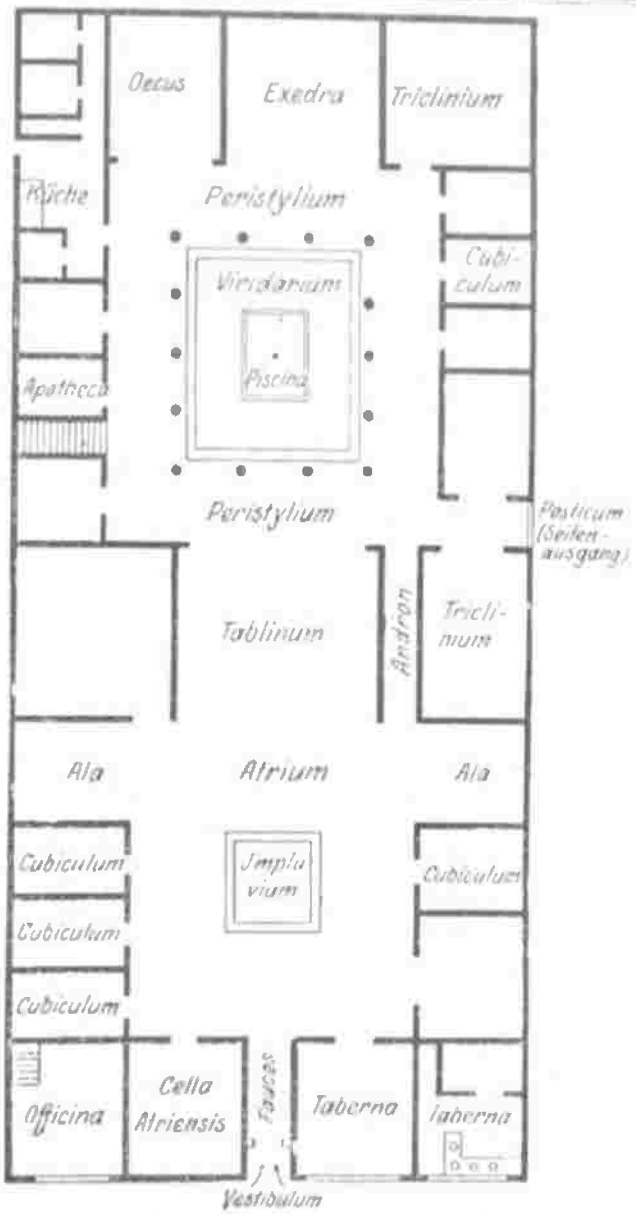

Normal groundplan of a Pompeian house (From G. Calza, Ostia)

(٥٥) الرسم الأرضى لبيت من بيوت بمدينه

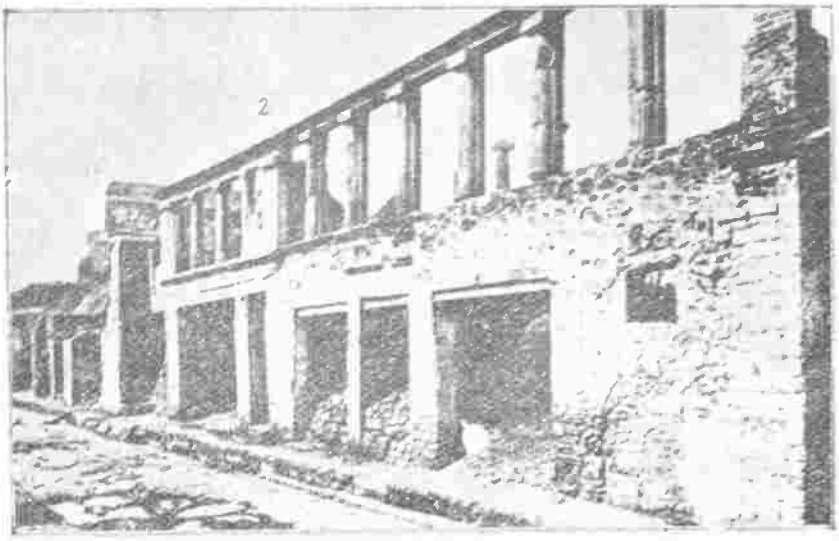

(٥٦) صف من البيوت فى بمبيه

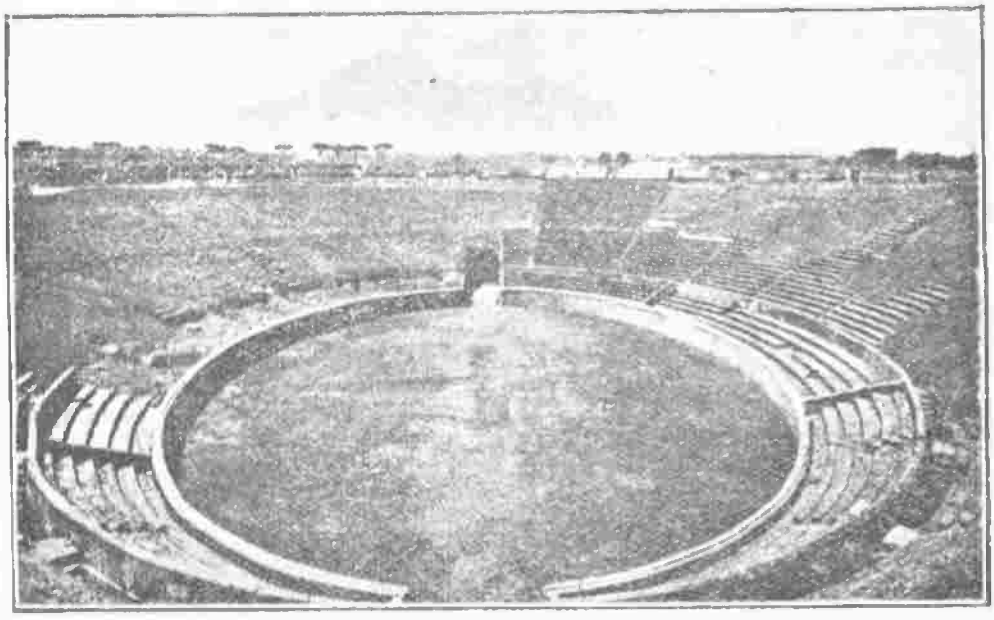

(٥٧) المرسح أو الملهى الكبير الذى فى بمبيه

فهى دليل على الترف والانغماس فى الشهوات والملذات .

ومما رأيناه غرفة مقفلة لما وصلنا اليها قال لنا المطوف : سيداتى وسادتى. هذه الغرفة لايدخلها إلا الرجال. وأوحى إلى الخادم الذى معه المفتاح ففتحها ودخلها الرجال منا وبقيت السيدات فى الخارج . وأغلق الباب علينا بعد الدخول فرأينا فيها ما لا يسح أن تراه السيدات وما لا يصح أن أذكره للقراء فذكرنى بقوله تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها

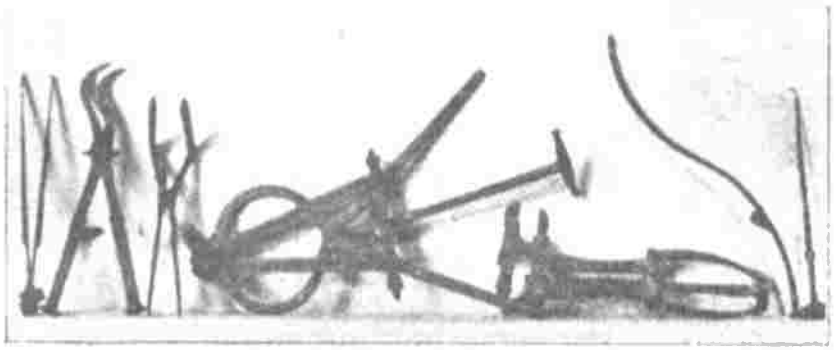

(٥٨) آلات الجراحة التى كان يستعملها الجراح فى بمبيه

القول فدمرناها تدميراً . والمراد بقوله تعالى « أردنا » الدنو والمشارفة نحو قولهم إذا أراد المريض أن يموت زاد مرضه شدة وإذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل ناحية . فلا المريض يريد أن يموت ولا التاجر يريد أن يفتقر : ولكن المعنى هو إذا دنا المريض أن يموت واذا دنا التاجر أن يفتقر . وأمرنا مترفيها بمعنى أكثرنا مترفيها . وخرجت أسائل نفسى أيقتصر التدمير على ما يلحق المدن والقرى بمثل هذه العوامل الطبيعية أى بالثورات البركانية والهزات الأرضية أو بالعوامل الانسانية كقنابل المدافع والطيارات فى أثناء غضبات الانسان البهيمية . أم هو يشمل التأخر الأدبى والانحطاط العلمى

وما إلى ذلك مما ينشأ عن الترف والانغماس فى الشهوات ؟ فان اقتصر التدمير على النوع الأول فما أصدق الحديث . « لولا شيوخ ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً »

وفى اليوم الخامس عشر ذهبنا لزيارة جزيرة كابرى (Capri) وهى تبعد عن نابولى نحو ساعتين سفراً بالرفاص . وهى جزيرة خفيفة الروح تصلح السكنى فيها صيفاً وشتاء . وعلمت من زميل سويدى أن لصاحبة الجلالة ملكة السويد فيها قصراً فخما تسكنه فى فصل الشتاء . وفى أثناء ذهابنا إلى الجزيرة نقلتنا قوارب صغيرة جداً لمشاهدة الكهف الأزرق . ولخوفى من الإطالة إذا وصفت هذا الكهف الأزرق البديع فضلت أن أترك القارىء الكريم على مضض الشوق لرؤيته وما رآه كمن سمع

---

(٢٢)

العلاج السماوى

عقدت النية منذ ما اعتزمت السفر لحضور المؤتمر على أن أذهب إلى ليزان (Leysin) بسويسرة لزيارة مصحات الاستاذ روليه الذى طبقت شهرته الآفاق وجرى لطريقته فى علاج سل العظام والمفاصل صيت عظيم. وكنت قد كاتبته وأنا بروما مستأذناً فى هذه الزيارة . وعلى ذلك سافرت فى اليوم السادس عشر من ابريل من نابولى الى روما فيلانو ونزلت فى مونتريه على أن أقوم مبكراً كل يوم للسفر إلى ايجل ومنها إلى ليزان فوصلت اليها فى صباح ١٨ ابريل وتوجهت تواً إلى المصحة التى تسمى (Les Frênes)

وقدمت بطاقتى فحضر إلىّ مساعد الاستاذ وقال لى إن الاستاذ بانتظارك وسار بى إليه وقدمنى إليه فصافحنى مرحباً مصافحة علمت منها أنه اطلع على ذات نفسى وعرف أن أذنى عشقته قبل عينى ووجدته واقفاً وسط نصف حلقة من الأطباء الحاضرين من بلاد مختلفة لزيارته . وكان يعرض عليهم

(٥٩) منظر من مناظر ليزان

صوراً مأخوذة بالأشعة المجهولة تبين حالة المرض قبل العلاج ، وفى أثنائه ، وبعد الشفاء . فأرانى الصور القليلة التى عرضها عليهم وأخذ يعرض علينا صوراً أخرى كثيرة مثلها حتى آمنا جميعاً بفائدة طريقته فى العلاج بالشمس لأننا رأينا كيف كان تلف العظام فى كثير من الأحوال شديداً وكيف كان التشوه فى المفاصل عظيماً فأصلح العلاج التلف وتوّم التشوه . ولما انتهى من عرض الصور علينا خرجنا من هـذه المصحة وسار بنا إلى غيرها . وساعدنى الحظ فرافقته فى الطريق جرى بيننا الحديث الآتى :

سأل الاستاذ : أأنت من مصر التى دعت الاستاذ برناند لتعيينه مديراً لمصحة جديدة ؟

فأجبت : نعم ، ومن الوزارة التابعة لها المصحة المزمع انشاؤها

فقال : يظهر أنكم تريدون أن تجعلوا هذه المصحة لعلاج السل الرئوى

فقلت : نعم وكان غرضى أن نجعلها لعلاج السل الجراحى أيضاً

فقال : وأيهما أكثر انتشاراً فى مصر ؟

فقلت : إن السل الجراحى يكاد يكون كثير الانتشار فى مصر كالسل الرئوى على ما أعتقد

فقال : وفى أى موضع تنوون إقامة المصحة ؟

فقلت : فى حلوان وهى مشتى جميل مشهور

فسأل : وهل تصلح الإقامة فى حلوان فى الصيف ؟

فأجبت : إن الرأى السائد بين الأطباء عندنا هو أنها لا تصلح لسكنى المسلولين فيها فى زمن الصيف وذلك لشدة الحر فيها

فقال : وكيف تعالجون هذه المشكلة ؟

فقلت : لقد كان رأيى أن نجعل المصحة للمصدورين بالسل الرئوى والمصابين بالسل الجراحى لأنى لا أظن أن الحر يؤذى السل الجراحى كما يؤذى السل الرئوى ولما رأيت أن اقتراحى لم يصادف قبولاً اقترحت على ذوى الشأن تبريد غرف المرضى لا بإقفال النوافذ والأبواب كما يفعل أهل حلوان ولكن بطريقة أخرى كمواسير للتبريد . وهنا وصلنا إلى مصحته التى تسمى (Le Chalet) فوقف واستوقفنى وانتظر ريثما وصل سائر الزملاء فقال : هذا هو أول مشيف (مستشفى صغير) أسسته فى سنة ١٩٠٣ لأعالج فيه الأمراض الجراحية المختلفة . وكنت قبل هذا التاريخ مساعداً للأستاذ كوخر المشهور . ولقد لاحظت أن المرضى الذين كنت أعالجهم هنا تلتئم

جروحهم إلتئاماً سريعاً متيناً فلا تندمل على فساد على غير ما كنت ألاحظه وأنا مساعد للاستاذ كوخر فكثيراً ما رأيت الجروح تغبر وتنتقض فيتخلف عنها نواسير مع العناية التامة . ولقد خطر لى أن أدعو من عرفتهم ممن تخلف عندهم نواسير إلى هنا فرأيت جروحهم تلتئم سريعاً بقليل من العناء وكان ذلك سر اهتدائى إلى العلاج بالشمس والهواء . وشرح لنا طريقته شرحاً وافياً وهو يمر بنا على المرضى . وكان منا ثلاثة كالطلبة المجتهدين يسألون الاستاذ مستفهمين ويناقشون مجادلين بالتى هى أحسن . وكان أولهم امريكى خفيف الروح متوفر على الأمراض الباطنية وعلم الأمراض ، أما ثانيهم فانكليزى كبير السن متوفر على جراحة الأطفال ، وثالث الثلاثة الفقير إلى الله عز شأنه كاتب هذه السطور . وكأن اتفاقنا فى المناقشة والمجادلة جمع بيننا فأصبحنا على قرب التعارف متآلفين نتجاذب أطراف الحديث متفاهمين

ومما لاحظته وأبديته للزميل الأمريكى أن الاستاذ قد أدرك الغاية التى يرمى اليها أكثر الأطباء ولا يصل إليها إلاَّ القليل منهم وهى رضى المرضى جميعاً . فأجاب : هذا صحيح فهم كأنهم فى بيوتهم وكأنه واحد منهم ولا ينقصهم شىء من وسائل الراحة فمنهم من يتلو كتاباً ومنهم من يتصفح مجلة أو يقرأ جريدة ، أما الأولاد منهم فعندهم بنات مختلفة وهى التماثيل الصغار التى يلعبون بها وكذلك عندهم دمى متنوعة وألعاب للتسلية . وكلهم وهم مرضى تلوح عليهم علامات البشر والسرور . ووقتئذ مر بنا الاستاذ فى غرفة فلمحنا فيها صبياً لا يعد أكثر من الرابعة أو الخامسة من العمر ؛ على وجهه شىء من الغبرة والكدورة فنحا نحوه الاستاذ سائلاً : ما بالك ؟ فرد عليه أحدنا مازحاً إنه عبوس الوجه لأنه خائف منا . فأجاب الاستاذ : وما أحراه أن يتهلل وجهه

بشراً بكم وأنتم أطباء فرد عليه : إنه فى غنى عنا ويرى فيكم الكفاية فضحكنا جميعاً وجاءنى الأمريكى يسأل : ألا تعلم سبب عبوس هذا الصبى ؟ فقلت لا فقال: إذا قلت لك السبب أتعاهدنى ألا تذكره لصاحبنا وأشار إلى الطبيب الانكليزى . فأجبت : لك علىَّ ذلك . فقال ضاحكا : ألا ترى الراية الانكليزية التى على سريره ؟ فالتفت فاذا بين اللعب التى عنده راية انكليزية صغيرة كانت على سريره فقلت : ما أعمانى عن هذا السبب وما أجدرنى بمعرفته. وجاريته فى الضحك وأنا أشعر بشىء غير قليل من الألم متمثلاً بقول القائل :

لا تحسبوا أن رقصى بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وصرنا ننتقل من مصحة إلى أخرى من مصحات الاستاذ لأن له نحو ثلاثين مصحة مختلفة منها ما هو للرجال ومنها ما هو للسيدات ومنها ما هو للأولاد ، ومنها ما هو لكل أولئك ، إلى أن حان موعد الغداء وكان قد أعده لنا ودعانا إليه فأجبنا الدعوة شاكرين . وكانت مائدته لا تقل بهاء ورونقاً وفخامة عن مصحاته . وبعد تناول الغداء دعينا لمشاهدة الصور المتحركة التى تبين طريقة علاج السل بالعمل والمدرسة الشمسية . ولقد أعجبت بهذه الصور وسألت أمن الممكن الحصول عليها فتكرم الاستاذ بإعارتى إياها وعما قريب أعرضها ان شاء الله على الجمهور (١)

ولقد قرأت كثيراً قبل سفرى عن طريقة الاستاذ فى العلاج بالشمس وكتبت عنها كثيراً وكنت فيما كتبت أعبر عنها بالعلاج بالشمس . أما الآن

---

(١) قد تسلمت الشريطين وعرضتهما بنادى الشبان المسيحيين فى منتصف اكتوبر سنة ١٩٢٦

فأرى أن أسمى هـذه الطريقة بالعلاج السماوى لأنه علاج بالشمس والهواء على جبال عالية يبلغ ارتفاعها ١٥٠٠ متر . ويعتقد الاستاذ أن للارتفاع شأناً عظيماً فى مزية العلاج لأن أشعة الشمس لا تصل إلى الأماكن المنخفضة

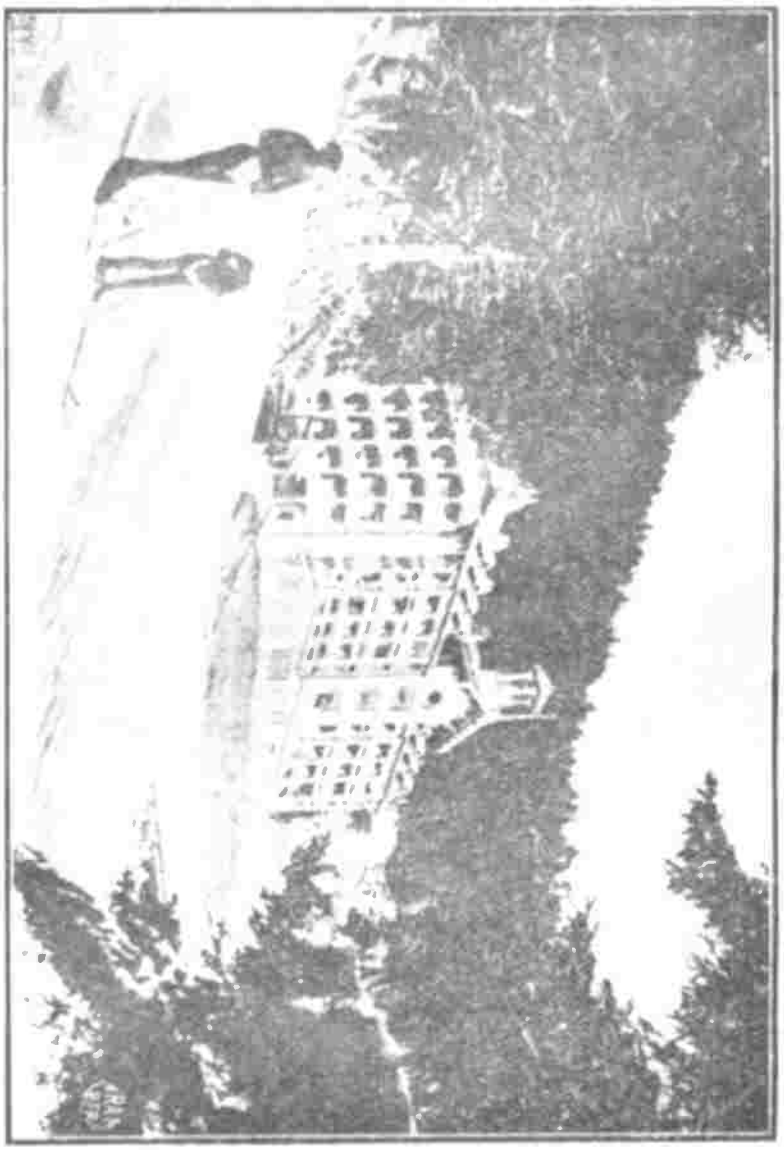

إلا بعد اختراقها طبقة كثيفة من الجو مشحونة بالرطوبة والتراب والدخان وغير ذلك مما يخالط الهواء ويحول دون وصول الأشعة النافعة الضرورية للشفاء

(٢٣)

علاج السل بالعمل

والمدرسة الشعبية

وهى المحاضرة التى ألقيت فى نادى الشبان المسيحيين

ساد الأطباء فى الأيام الأخيرة وخصوصاً فى البلاد الراقية إعتقاد بضرورة تعميم الطب . وأقصد بتعميم الطب إلى تفهيم الجمهور كل ما يمكن أن يفهموه من القواعد الصحية والمسائل الطبية . وهم يسلكون لهذا الغرض مسالك مختلفة لا يتسع الوقت لشرحها . ولى الشرف أن أكون من أنصار هذا المبدأ ومن المبشرين به؛ لأنى أعتقد أن جهود الأطباء فى مقاومة الأمراض ومكافحتها وفى تحسين الأحوال الصحية لا شك ضائعة إذا لم يساعدهم الجمهور . ولأضرب لكم مثلاً الأمراض المعدية حماكم الله منها . فقد أصبح بفضل تقدم الطب فى وسع الطبيب ، لو أدرك المريض بأحد هـذه الأمراض ، وهو فى الدور الأول من المرض ، أن يدرأ عنه المضاعفات المختلفة التى قد تطرأ عليه وتكون سبباً فى هلاكه ، وأن يعطل امتداد المرض إلى أقاربه وذويه ، وأن يمنع انتشاره فى قريته أو بلدته . أصبح كل ذلك ميسوراً هيناً يستطيع الطب أن يفعله فيدفع هماً واغلاً وخطراً داهماً لو أسرع القوم وأخبروه بالمرض عند أول ظهوره ، ولم يتريثوا حتى يفوت وقت التحرز . وهل يستطيع الجمهور أن يفعل ذلك لو لم يكن على بينة من هذه الأمراض ؟

ولأضرب لكم مثلاً ثانياً السرطان وقاكم الله شره ، فهو مرض قابل للشفاء إذا بادر المريض بعلاجه وغير قابل للشفاء إذا تلبث به المريض

ولم يستشر الطبيب إلاَّ بعد أن تتبلغ به علته وتأخذ فيه مأخذاً عظيما. ولا أدرى كيف يستطيع المريض أن يهتم بمرضه وهو يسير إلاَّ إذا تنور ذهنه بالأوليات الطبية الصحية

ولا شك أن تنوير أذهان الجمهور فى المسائل الطبية الصحية لا يأتى بالفائدة المطلوبة مع انتشار الجهل والأمية . وقتئذ يكون الأطباء أشجاراً بلا ثمر لعدم إقبال المرضى عليهم والانتفاع بمعلوماتهم ، ووقتئذ تكون اللوائح الصحية حبراً على ورق لا أثر لها

واعتقادى بضرورة تعميم الطب هو الذى ساقنى للتشرف بالقاء هذه المحاضرة على حضراتكم هذه الليلة وموضوعها « علاج السل بالعمل »

أصبح الآن السل سواء أكان رئوياً أم جراحياً فى المفاصل أو العظام أو غيرها من الانسجة المختلفة يعالج فى البلاد الراقية فى مستشفيات خاصة يطلق عليها المصحات . وسيعالج فى مصر فى القريب العاجل فى مصحة فؤاد وهى المصحة التى تكرم جلالة مولانا الملك حفظه الله فأوعز الى وزارة الأوقاف بانشائها فى حلوان

ويبنى العلاج فى هذه المصحات على الراحة التامة ، والهواء الطلق ، والرياضة البدنية ، والتغذية الجيدة ، والاستعانة بأشعة الشمس ، وبالمحافظة على القواعد الصحية

والعلاج بهذا النظام يحتاج الى زمن يختلف باختلاف أنواع الإصابات وشدتها وزمن وصول المرضى الى العلاج . والمعتاد أن تتراوح مدة العلاج بين بضعة أشهر وبضع سنين

ومن المعقول أن الأنسب من الوجهة الاقتصادية والوجهة الاجتماعية

أن تتمكن المصحات من رد المرضى بعد شفائهم الى الدورة البشرية لاستئناف أعمالهم ولو طالت مدة علاجهم ؛ فذلك خير من ابقائهم عجزة غير قادرين على العمل . هذا إلى أن طول مدة العلاج قد تؤثر فى نفسية المريض وتجعله يتأذى لا سيما اذا كان بغير إيراد وممن يعيشون بكدهم وجدهم . ولقد فكر القوم فى علاج هذه الأحوال بوصف جرع طبية من العمل بمقادير مختلفة

لقد جرت عادة الأطباء فى المصحات عند أول نشأتها أن ينصحوا المسلولين بالاخلاد الى الراحة التامة وسرعان ما وجدوا وبال هذه النصيحة لأنها افضت الى انحطاط المرضى انحطاطاً بدنياً ونفسياً . ذلك لأن المريض كان ينتقل فجأة من حياة النشاط والعمل وهو بين أقاربه وذويه الى حياة السكون والكسل فى عزلة يكاد يردد فيها قول الطغرائى :

ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد　　كالسيف عرى مثناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزنى　　ولا أنيس اليه مشتكى جذلى

وكيف لا ينحط المريض ولا يشغل باله إلا مرضه ومستقبله

ولم ير الأطباء وسيلة لإلهاء المرضى عن مرضهم الا المطالعة . وقد يملونها

ومن ذلك يتضح لكم أن المسلول كثيراً ما يصاب فى المصحة بمرض نفسانى هو الفراغ من العمل ذلك الفراغ الذى تتميز به المصحات . وما أشد وطأة هذا الفراغ وتأثيره فى القوة المعنوية للمريض الذى لم يألف إلا الحياة العملية. فقد لا يقل تأثير حكم المصحة بالراحة التامة عن حكم المحكمة بالأشغال الشاقة

فالمريض الذى تناسبه رياضة بدنية ، ويعمل هذه الرياضة بنظام وترتيب، بغير أن تضره أو تشق عليه أقول إن هذا المريض يشعر بارتياح عظيم لاسترداد

قواه ورجوع الماء الى مجراه . ولا شك أن هذا الشعور يؤثر تأثيراً حسناً لارتباط النفس بالجسم ارتباطاً وثيقاً

وقديماً قال بعضهم «اذا كان الموت هو الراحة المطلقة فالراحة التامة هى بداية الموت »

والمعتاد أن يعالج المريض بأشعة الشمس والهواء الطلق أولاً ، فيبعث فيه هذا العلاج القوة والنشاط ويحسن صحته كثيراً ويجعله اكثر استعداداً للاستفادة من العلاج بالعمل

ولقد فكر القوم فى العلاج بالعمل منذ سنة ١٩٠٧ وصاروا يشغلون المرضى السائرين الى الشفاء والذين هم فى دور النقه سواء أكانوا مصابين بالسل الرئوى أم بالسل الجراحى اشغالاً خفيفة غير شاقة ، وخصصوا لذلك ما يسمونه « مستعمرة العمل » يعملون فيها السلال وكراسى المرضى . وهو عمل يسهل عمله فى أثناء العلاج بأشعة الشمس فى الهواء الطلق . وأصبح العاملون من المرضى يحصلون بعملهم على شىء من المال يقوم ببعض حاجاتهم ، ويدفعون به الملل والكسل ، غير مستسلمين للاعتقاد بأنهم عالة على غيرهم ، و يستدرجون نفسهم بعملهم هذا أيضاً الى نشاط الحياة وهم سائرون فى طريق الشفاء

وفى سنة ١٩١٠ أنشأ بعضهم مستعمرة زراعية فى وادى الأرمونت بسرنات للأطفال كان يديرها خبير زراعى كان مصاباً بسل فى العمود الفقارى وكان يعالج فى مصحة الأستاذ روليه بليسان وتم له الشفاء وأصبح قادراً على العمل

ويمكن أن يحسب من العمل أيضاً « المدرسة الشمسية» التى يتعلم فيها الأولاد وهم يعالجون بأشعة الشمس فى الهواء الطلق كما يتضح لحضراتكم فى الصور

ولما صحت التجربة فى مستعمرة العمل بليزان وفى المستعمرة الزراعية بسرنات أخذ القوم يتمادون فى تطبيق القاعدة على الملازمين للفراش من المرضى الذين عليهم أن يقطعوا طريقاً طويلاً للشفاء كالمصابين بسل جراحى فى العمود الفقارى وفى المفصل الفخذى الوركى أو فى مفصل الركبة . ولهم طرق واحتيالات غريبة يسهلون بها العمل للمريض وهو فى الوضع الذى يقتضيه مرضه سواء أكان مستلقياً على ظهره أم مبطوحًا على وجهه . فالمبطوح على وجهه لتعريض ظهره لأشعة الشمس توضع تحت صدره وسادة من الشعر مثلثة الشكل يتكئ عليها المريض بمرفقيه وبذلك تبقى يداه خالصتين للعمل . وكذلك يعمل ترتيب معين للمصاب بمرض المفصل الفخذى الوركى يسهل على المريض العمل وهو مستلق على ظهره والمفصل ممدود بجهاز شد لتثبيت المفصل المريض

ولكل مريض عمل معين يتفق ومرضه فالمبطوح على وجهه لعلاج ظهره متكئاً على مرفقيه ، أو الجالس فى سريره لعلاج ركبته أو رسغ قدمه يمكنه أن يشتغل فى النقش على الخشب أو فى عمل السلال من الورق أو فى الكتابة بالآلة الكاتبة أو فى عمل الساعات وغير ذلك

أما المستلقى على ظهره لعلاج بطنه أو لعلاج المفصل الفخذى الوركى فيمكنه أن يشتغل بالغزل أو بالتصوير على الخشب وغير ذلك

ولكل عمل مناسب فالذين هم فى السرير وفى طريق الشفاء لا يكلفون إلا أعمالاً خفيفة . فان كانوا فى دور النقه غير ملازمين للسرير فقد يكلفون أعمالاً أشق

ولقد نجحت التجارب وصار القوم يعتقدون أن العمل من وسائل

(٦١) منظر من مناظر السينما وفيه ترى الاولاد وعلى ظهورهم مكاتبهم وهم يبحثون عن مكان يجلسون فيه للدرس

(٦٢) المرضى وهم مبطوحون على وجوههم ومعرضون ظهورهم للشمس
وتراهم يعملون وهم فى هذا الوضع

(٦٣) الأولاد يلعبون لعبة شد الحبل

(٦٤) الاولاد وهم فى دور التقليد يعملون فى « تكويم الدريس »

(٦٥) الاولاد فى الدرس

(٦٦) منظر من مناظر السينما وفيه ترى التلاميذ فى الدرس
فى الهواء الطلق والشمس

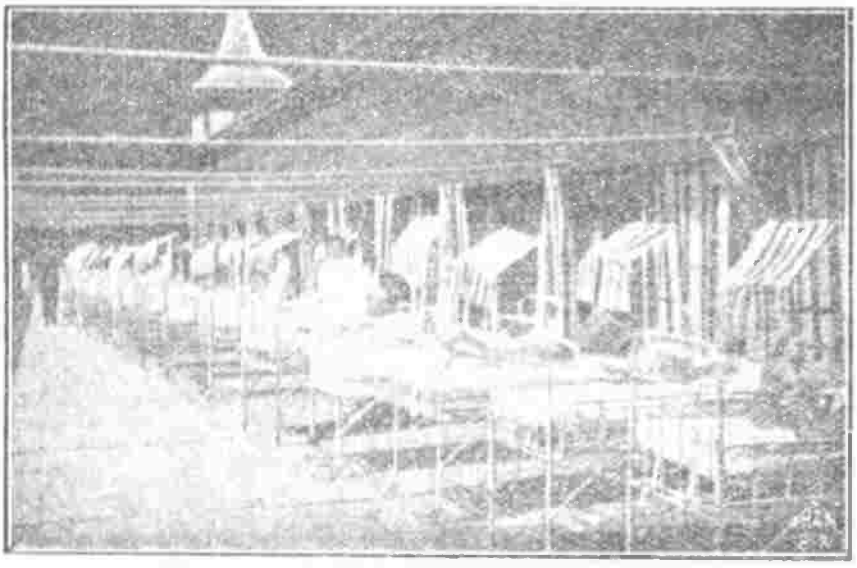

(٦٧) منظر من مناظر السينما وفيه ترى المرضى معرضين للشمس
يتناولون حماما شمسياً على سطح المصحة

العلاج كالدواء وهو لذلك يجب أن يوصف عند الضرورة كما يوصف الدواء يصفه الطبيب حسب مقتضى المرض ، ويلاحظ تأثيره ، وينوعه ، ويبين مقدار الجرعة منه فى اليوم

وكما أن للأدوية دلالات تقتضى استعمالها وأخرى تمنع الاستعمال ، فكذلك للعمل . ومما يقتضى منع العمل أن يكون المريض محموماً لأنه وقتئذ يكون منصرفاً بكل قوته للتغلب على مرضه

والعلاج بالعمل كالعلاج بأشعة الشمس لايطرد تأثيره فى جميع المرضى بل لا بد أن يلاحظ الطبيب التأثير فى كل مريض على حدة وكذلك يجب أن يطيع المرضى الطبيب طاعة عسكرية

مما تقدم يتضح لحضراتكم أن للعلاج بالعمل مزية نفسية ومزية اجتماعية اقتصادية . فأما المزية النفسية فهى تعجيل الشفاء بالتأثير النفسانى لصرف المريض عن الاشتغال بمرضه الى الاشتغال بعمله . وأما المزية الاجتماعية الاقتصادية فهى الحصول على بعض الكسب مما يساعد على تطويل « زمن الشفاء » كما تقتضى ضرورة المرض لأن ذلك التطويل أضمن وسيلة لعدم الانتكاس

وقد يعترض معترض بصعوبة ترويج آثار أعمالهم فى الأسواق . ويدفع هذا الاعتراض بعطف الناس على هؤلاء المرضى وحبهم تقديم كلما يمكن تقديمه مساعدة لهم وتفريجاً لهمومهم وتنظيم العمل فى مستعمرات العمل تنظيما جيداً يضمن تطهير نتائج أعمالهم تطهيراً جيداً دقيقاً لا يخشى منه أى خطر من العدوى كما يتضح لحضراتكم من الصور التى ستعرض

وجدّ القوم فى البلاد الأجنبية فى عمل مستعمرات زراعية يعمل فيها

الذين تم شفاؤهم حرصاً على هذا الشفاء من الطبقات الفقيرة التى يتألف أغلبها من العمال وخوفاً عليهم من الانتكاس إذا هم رجعوا إلى أعمالهم فى مصانعهم ومعاملهم حيث يكون الازدحام شديداً . أو إذا هم رجعوا إلى الاقامة فى بيوتهم التى يكاد يكون أغلبها غير صحى فيصعب عليهم أن يحافظوا على صحتهم

وهنا عرضت مناظر السينما التى أعدت لايضاح المحاضرة ثم استأنف المحاضر الكلام فقال :

الآن وقد رأيتم هذه الصور أرجو أن تسمحوا لى بابداء ملاحظة صغيرة فى مبناها كبيرة فى معناها لا أظنها قد غابت عن حضراتكم هى معرفة هؤلاء القوم قيمة الوقت وحرصهم عليه لأنه عندهم من الذهب أو أغلى ؛ ولذلك نراهم كما رأيناهم يستغلون الوقت حتى وهم مرضى فما أجدرنا ونحن نعمل على رفع سعر القطن وعدم تدهوره لأن عليه مدار ثروة البلاد أن نعمل أيضاً بكل ما فى وسعنا لرفع سعر الوقت عندنا وعدم تضييعه سدى لأنه عماد الحياة ، وختاماً أشكركم على تفضلكم بسماع هذه المحاضرة ؟

(٢٤)

علاج الاطفال بالشمس

العلاج بالشمس طريقة قديمة حديثة فى آن واحد فهى قديمة لأن فوائد الشمس معروفة منذ القدم وحديثة لأن الدكتور رولييه قام حديثاً فنظم طريقة العلاج بالشمس وجعل لها أصولاً وقواعد . وأريد الآن أن أنقل للقراء آراءه فى علاج الأطفال بالشمس وبعض هذه الآراء سمعته من الاستاذ نفسه فى أثناء زيارتى له (بليسان) وبعضها مما قرأته فى الكتب والمجلات عن طريقته .

ليس العلاج بالشمس إلا رجوعاً للطبيعة وامتثالاً لأوامرها التى ابعدتنا عنها المدنية الحديثة . وكلما توغلنا فى هذه المدنية زدنا بعداً . لأن الطبيعة تقضى علينا لكى نكون أصحاء وتستكمل أجسامنا نماءها ألا نستغنى عن الهواء والشمس أسوة بالنبات والحيوان . . . وهما ضروريان للانسان فى جميع أدوار الحياة ولا سيما ذلك فى دور الطفولة

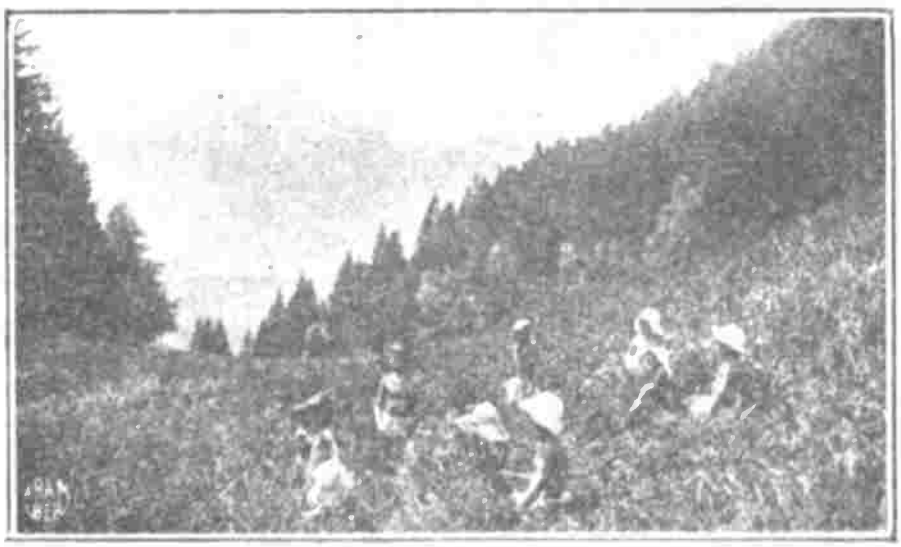

(٦٨) الأزهار البشرية بجانب الأزهار النباتية

وقيمة العلاج بالشمس إنما تكون بتأثيرها العام و بتأثيرها الموضعى .فأما التأثير العام فيتخلص فى أن الشمس مقوية، مجددة النشاط، منبهة قوى الدفاع، تزيد حيوية الجسم وتجدد أنسجته . وأما التأثير الموضعى فيتخلص فى تخفيف الألم، واتلاف الميكروبات، وتسهيل الالتحام، وتعجيل الشفاء فى الأمراض والجروح الموضعية

ويستعمل العلاج بالشمس فى كل أحوال انحطاط الجسم كالانيميا، والضعف العام، ونقص التمثيل اذ يحتاج الجسم الى شىء من التجديد . والعلاج بالشمس خير وسيلة لعلاج الكساحة والتدرن فى الأطفال ولا سيما فى أشكاله الجراحية . والتدرن الجراحى فى أشكاله المختلفة ليس مرضاً موضعياً ينفع فيه العلاج الموضعى فحسب، ولكنه أينما كان موضعه ليس إلاَّ عرضاً موضعياً يدل على ضعف عام

ويتوقف نشوء التدرن لا على شدة العدوى وتعددها ولكن على قوات الدفاع العامة ومقاومتها . فالتدرن الجراحى سواء اكان عظمياً أم مفصلياً أم فى الغدد أم فى الجلد أم فى البريتون فى الأطفال يسير الى الشفاء سيراً حثيثاً بالعلاج الشمسى علاجاً قانونياً مع العلاج بالهواء . وليس تأثير الشمس فى مراكز المرض تأثيراً سطحياً كما يدعى بعضهم فصور الأشعة التى عند الدكتور روليه وهى لا تقل عن الأربعين ألفا تدل على أن الاصابة الدرنية لا تفلت من تأثير الشمس ولوكانت غائرة . وتدل هذه الصور أيضاً فى كثير من أحوال التدرن العظمى المفصلى فى الأطفال التى تقدم فيها المرض فأحدث تلفاً عظيماً إن قوة الشمس كثيراً ما تعوض عن التلف وترجع التكاس العظمى لدرجة شديدة قد يدهش منها الانسان . ولا تقتصر فائدة الشمس على شفاء التدرن

فقط بل لها تأثير عظيم فى الكساحة أيضاً مما بينه روليه منذ سنة ١٩٠٣ ووافقه عليه الكثيرون من الذين دلت تجاربهم على أن ضياء الشمس يزيد فى مقدار الجير والفصفور فى الدم زيادة لا تنكر

ومن التأثيرات العامة التى يحدثها الحمام الشمسى فى جسم الطفل ما يشاهد فى الجلد الذى له وظائف فسيولوجية هامة لأنه للوقاية، وللافراز، والدورة الدموية وللأعصاب، وللتغذية. فاذا عرض للشمس فى الهواء الطلق وقد ضمر من الملابس غير الصحية فانه يقوى ويتلون ويسترد جميع وظائفه الفسيولوجية التى فقدها والتى هى ضرورية للحياة الطبيعية ويصبح اللباس الطبيعى للجسم.

وللتلون الذى يحدث فى الجلد بتأثير الشمس شأن عظيم لأنه يزيد فى مقاومته للبرد والحر. هذا الى أنه يسهل التئام الجروح ويزيد فى مقاومته لدخول الميكروبات فيه. وهذا هو السبب فى أن الأطفال ذات اللون الأسمر يكونون أكثر مقاومة للأمراض الجلدية الميكروبية كالدمامل والاكنة مما يساعد على فتح باب عدوى لامراض أخرى أكثر خطراً. ويعتقد روليه أن المادة الملونة التى فى الجلد هى كالجامعة الكهربائية[1] كما اتضح من الاختبار ذلك لأن المقاومة تسير والتلون غالباً. هذا الى أن التلون يقى الجلد من تأثير الأشعة ما بعد البنفسجية وينظم توزيع حرارتها وقد يكون للمادة الملونة شأن فى تمثيل الهورمون[2]

وللأشعة الشمسية تأثير عظيم فى الجهاز العضلى فى الطفل. وذلك لأن

---

(١) Dynamic Accumulato

(٢) Hormone

الشمس تمدد الأوعية الجلدية وبذلك يسحب الدم من الأجزاء الغائرة الى السطح ماراً بالطبقات العضلية فكانت الشمس كالتدليك . وقد يستفيد المجموع العضلى شيئاً من القوة بما للأشعة الشمسية من الصدمة الاهتزازية على أطراف أعصاب الاحساس التى فى الجلد وباسترداد العضلات والأربطة قوتها بواسطة تأثير الشمس قد تعود الى المفاصل وظائفها . وبذلك تعود الى الأجسام الصغيرة الضامرة التى أضناها المرض صحتها وعافيتها . وهذا هو ما يحدث فى الكساحة أيضاً . والعلاج بالشمس ولا سيما فى الجبال الشاهقة يحدث فى الأطفال نشاطاً فى الرئتين وبالتالى نشاطاً فى الدورة الدموية وكذلك تزيد عدد الكريات الدموية كما تزيد نسبة الخضاب الدموى (الهيموجلوبين) وبذلك تتحسن حالة الدم وحالة التغذية . وللشمس تأثير فى أعضاء البطن فتقوى شهوة الطعام ، وتتنبه وظائف الهضم ، وتزداد قوة المريض

وللعلاج بالشمس تأثير غريب فى عمل الغدد الصماء فقد كان أحد الأطباء فى ايجل[1] يرسل الأطفال المصابين بعدم كفاية الغدة الدرقية الى ليسان للعلاج بأشعة الشمس وذلك قبل ظهور العلاج فى المصحات .

ويفيد العلاج بالشمس أمراضاً أخرى فى الطفولة غير التدرن الجراحى والكساحة لأن الشمس تتلف الميكروبات المرضية وتقوى النشاط الخلوى ، وتسهل إلتحام الجروح ، فهى أفضل مطهر لتضميد الجروح ، ولهذا السبب كثيراً ما عالج بها رولييه العوارض والكسور المضاعفة والالتهاب العظمى النخاعى . ويقول إن الشمس كثيراً ما أفادت فى سد التجاويف العظمية الناشئة عن تربنة العظام فى الالتهاب العظمى

---

(١) Aigle وهى بلدة فى سويسرة وبها محطة الترام الصاعد الذى يسمو بالانسان الى ليزان

وللسبب عينه يمكن علاج اللوبوس، والأكزيما، والأمبتيجو، والأكنة. وهذه الأمراض يقاومها الجلد الأسمر كما ذكر

وللشمس تأثير نافع فى الشلل الطفلى فقد استطاع روليه أن يرجع للعضلات بعض قوتها وحركتها. ويقول إنه رأى عرضاً شيئاً من التحسين فى مرض لتل[١]

والأنيميا والضعف العام عقب الأمراض الشديدة والعمليات الكبيرة، كل ذلك يتحسن كثيراً بالعلاج بالشمس. فهذه الطريقة العلاجية لا يمكن الاستغناء عنها فى جميع مستشفيات الأطفال حتى لقد قال جوبير[٢]

« ستحتاج غداً المستشفيات الجراحية إلى الطنف التى يعالج فيها المرضى بالشمس حاجتها اليوم إلى غرفة العمليات، والمعمل البكتريولوجى، وجهاز الأشعة المجهولة »

والعلاج بالشمس ممكن فى كل بلد تطلع فيه الشمس. ولا يصح أن تحتكر البلاد ذات الطقس الممتاز هذا النوع من العلاج. ويمكن الجمع بين الشمس الطبيعية والشمس الصناعية حيث تغيب الشمس طويلاً

ولئن أفادت الشمس فى علاج الأمراض الشديدة كالتدرن الجراحى والكساحة فهى أكثر فائدة فى اتقاء هذه الأمراض على ما ظهر من التجارب والخبرة الطويلة. وعلى ذلك يمكنك أن تحسب الشمس من أهم الوسائل الوقائية وما هذه النتيجة الحديثة الأصدى الجملة القديمة المشهورة « البيت الذى تدخله الشمس لا يدخله الطبيب »

ومن المعلوم أن العدوى بالسل تحدث فى أثناء الطفولة حتى اذا وصلت

(١) Little's Disease (٢) Joubert

الأولاد الى سن البلوغ كانت نسبة من تلوث منهم به ٩٥ فى المائة . ومن المعلوم أيضاً أن العدوى إما أن تكون عن طريق الرئتين وإما عن طريق القناة الهضمية . ففى الحالة الأولى يتكون خط الدفاع الأول من الغدد اللمفاوية القصبية الشعبية . واذا كان خط الدفاع متيناً والدفع قوياً بقى العدو فى مكانه لا يستطيع التوغل . وقد يتحصن الطفل ويؤمن جانب العدو فى المستقبل اذا حوصر فى مكانه . و بما أن المعتاد أن يحدث التلوث بمكروبات التدرن فى الطفولة فالواجب اتقاؤه فى هذا الزمن . وخير وسيلة لهذا المرض هو الحمام الشمسى الهوائى

السل نقاد

(٢٥)

وذهبت فى فرصة أخرى لزيارة « مصحة الشعب » التى يديرها الاستاذ برناند وهو الذى عينته وزارة الاوقاف مديراً لمصحة فؤاد بحلوان . وهى تبعد عن قرية ليزان التى فيها مصحات الاستاذ روليه نحو عشرين دقيقة صعوداً فى الترام ، وعدد أسرتها نحو مائة وخمسين . وكان الدكتور برناند وقت زيارتى لمصحته فى مصر فقابلت مساعده وهو الذى تكرم على واطلعنى عليها

وكان أول ما بدا لى مما يستحق الذكر أن أغلب المرضى إن لم يكن كلهم فى الدور الاول من المرض إذ يسهل علاجهم . وإن تعجب أيها القارىء من ذلك فعجب أن تعرف أنى لما حضرت الى مصر عرفت من أحد زملائى الذين يشتغلون معى فى المستشفى أنه قد استدعى الاستاذ مرة لفحص مصاب بالسل

الرئوى فاخبره بعد الفحص أنه لم ير فى كل حياته الطبية مسلولا قد تقدم معه المرض تقدمه فى هذا المصاب . ولست أبالغ إذا قلت أن مثلنا الآن فى عنايتنا بالسل كمثل القوم فى البلاد الراقية منذ اربعين سنة يوم كان المسلول الفقير لايرى امامه طريقاً للخلاص الا فى التردد على احدى العيادات الخارجية فى أحد المستشفيات حيث يفحص صدره للتحقق من وجود بعض العلامات الدالة على المرض . فاذا وجدت هذه العلامات أعطى دواء مقوياً كزيت السمك مع بعض الادوية الملطفة لما يشكو منه من الاعراض . وقد يساعده الحظ فيقبل فى المستشفى فيحل فيه ضيفاً ثقيلا بين المرضى الذين هم مصابون بأمراض أخرى وذلك مخافة العدوى ولم يك المستشفى ليبقى المسلول فيه الا ريثما تخف الوطأة أو تتحسن الاعراض قليلا . ولم يهتم القوم وقتئذ بتاريخ المرض ومنبع العدوى وطريقة توزيعه وانتشاره ولا بسيره سيراً مزمناً ولا بظواهره المختلفة . ولم يدركوا ما لتأثر المريض بالوسط الذى يعيش فيه من الشأن ، ولم يفهموا أن فى تنظيم العلاج من مبدأ المرض والعناية بالمرضى بعد تمام الشفاء سر النجاح فى مكافحة هذا المرض . على أنهم لم يستطيعوا صبراً على هذه الحالة ولذلك تراهم قد قطعوا شوطاً عظيما بعمل انظمة مختلفة للتغلب على هذا المرض كنظام مستوصفات السل فى انجلترا (Tuberculosis Dispensary)

وهذه المستوصفات مراكز قريبة المشابهة بمراكز الاطفال الغرض منها تتبع هذا المرض ومطاردته . ومعرفة طرق انتشاره ، وشن الغارة عليه فى مواضعه . فهذه المستوصفات تقوم باستقبال المسلولين وتشخيص مرضهم وملاحظتهم وعلاج الاحوال البسيطة منهم وكذلك تقوم بمراقبة أقارب المرضى وذويهم من الذين يخالطونهم ويعاشرونهم مراقبة شديدة مع درس

أحوالهم الصحية وظروف معيشتهم وكذلك تقوم بمراقبة المرضى بعد شفائهم وخروجهم من المصحات . هذا الى أنها مراكز استعلامات تقوم بارشاد الجمهور وتربيته تربية صحية . وحبذا لو تعاونت وزارة الاوقاف مع مصلحة الصحة على إنشاء مثل هذا النظام بعد بدء العمل فى مصحة فؤاد بحلوان . وقتئذ تؤتى المصحة أكلها قريباً ويبدو ثمرها يانعاً على غير ما هى الحال لو بقيت هذه المصحة تعمل منفردة بغير مساعدة هذه المراكز

وقد كان يقف بى المساعد على كل مريض فيشرح لى مرضه باختصار ويبين لى سير العلاج ولشد ما دهشت إذ علمت أن جميع المرضى واقفون على حقيقة أمرهم مطمئنة نفوسهم الى العلاج . ولقد هممت أن أناقش المساعد فى هذا الموضوع لو لا أن تذكرت أن من القواعد الأساسية عند القوم تفهيم المسلول حقيقة أمره لكى يبادر بعلاج المرض من غير تريث ولكى يتأدب بما سميته « أدب المسلول » فلا يكون سبباً فى نقل مرضه إلى غيره من أقاربه ومعارفه وغيرهم . وما أظن أن الطبيب فى مصر يجرؤ على تفهيم المسلول حقيقة أمره بغير تمهيد طويل قد يتراخى المريض فى أثنائه فيما يجب عليه نحو نفسه ونحو غيره . وأين استجرأ الطبيب وأقدم على تفهيم المريض حقيقة المرض وقف فى طريقه ذووه وغضبوا منه غضباً شديداً

ومما لاحظته أن كل مريض يدخل المصحه تؤخذ صورة رئتيه بالأشعة قبل البدء بالعلاج . ثم تؤخذ الصورة مراراً فى أثناء العلاج . وهذه الصور تصحب أوراق العلاج كما تصحبها فى مستشفياتنا أوراق الحرارة . ويعول القوم على هذه الصور للتشخيص ولمعرفة سير العلاج تعويلاً عظيماً . ويعتقدون أن الطبيب الذى يتغاضى عنها ويهملها يكون مقصراً فى حق مريضه تقصيراً

شديداً . وههنا لا أريد أن أتوسع لأنه يشق على النفس أن أسطر حقيقة من الحقائق المرة التى لا يصح أن أذكرها إلا تلميحاً فالطبيب لبيب وكل لبيب بالإشارة يفهم

ورأيت فيما رأيت أنهم كثيراً ما يعولون فى علاج السل على طريقة ادخال الهواء فى تجويف البلورا (وهو غشاء الرئة) فى الناحية المصابة . ويسوءنى جداً أن أقول إن الأطباء فى مصر قلما يلجأون الى هذه الطريقة المجربة المفيدة

(٦٩) مصحة الشعب بليزان

ولاحظت أخيراً أن السل لم يعدل بين الجنسين لأن عدد السيدات فى المصحة كان اكثر من عدد الرجال فكأنه يميل الى الجنس اللطيف اكثر من ميله إلى الجنس الخشن . بل هو فى ميله اليهن نقاد جائر لأنه يختار منهن على الأغلب الجميلات خفيفات الروح والدم ذوات البشرة الرقيقة والعيون الحوراء والخدق الدعجاء والجفون الكحلاء والاهداب الوطفاء . فاذا ما حل

السل فى واحدة منهن رأيتها على نحو وصف الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم فى بؤسائه وقد « انتقلت حمرة وجنتيها الى عينيها ، وهاجر سواد لحظها الى حظها . وامتد اصفرار شعرها الى لونها ، ودب سقم جفنها الى صدرها ، وسرى نحول خصرها إلى جسمها . والتقى فى مآقيها دمع الحزن بدمع الدلال ، واجتمع فى قدها ذلك الهيف وذاك الهزال »

وهكذا يكون جمال المرأة محسوباً عليها كما أن ذكاء المرء محسوب عليه

---

(٢٦)

بيان لابد منه

« بيان لابد منه » عنوان لابد له من بيان . فهو العنوان الذى استعمله الشيخ الوقور اسماعيل أباظه باشا . وكان حفظه الله يستعمله لتعليقات سياسية واجتماعية . ولى الشرف أن أستعير منه هذا العنوان لتعليق طبى بياناً لسؤال مستفهم سألنيه فى جواب خاص وطلب منى أن يكون الرد على صفحات المقطم تعميما للفائدة . سأل السائل عن ما هية طريقة علاج المسلول بادخال الهواء فى تجويف البلورا فى الناحية المصابة وهى الطريقة التى ورد ذكرها فى مقالى الأخير وأسفت لعدم شيوعها فى مصر شيوعها فى سائر البلاد الأخرى . ولست أدرى أيصح أن أعبر عن هذه الطريقة بأنها حديثة وقد مضى عليها أكثر من عشرين سنة . ويخيل الى أن الأطباء فى البلاد المختلفة تتناقلها بشىء من التريث غير المألوف فى غيرها مما يجد من طرق العلاج . فقد نقلها الى انكلترا مثلاً فى سنة ١٩١٠ طبيب انكليزى كان مريضاً بالسل

ذهب الى بلاد النرويج فى سنة ١٩٠٩ ليعالج فى احدى مصحاتها . فأطلعه عليها أحد أطباء المصحة ممن درسوا هذه الطريقة على أستاذ فى بلاد الدانمارك فقبل الطبيب الانكليزى أن يعالج ، فهبطت حرارته بعد أن لازمته نحو سنتين، وزال سعاله ، وانقطع البصق، واسترد صحته ، وتمكن من الرجوع الى بلده لاستئناف أعماله فوجد قومه يكادون لا يعرفون عنها شيئاً

ولا يزال الأطباء فى أمريكا يعبرون عنها بالطريقه الحديثة وقد أعاروها جانباً عظيما من اهتمامهم

وليس الأساس الذى بنيت عليه هذه الطريقة غريباً فقد بنيت على أهم ركن من الأركان التى بنى عليها علاج السل وهى الهواء الطلق والغذاء الجيد والراحة . فالراحة أهم الأركان وعليها تأسست الطريقة . ولعل القارئ يستغرب كيف يمكن تهيئة الراحة للرئتين وهما تبتدئان فى عملهما متى بدأت الحياة ولا تنقطعان عنه حتى تنقطع أسباب الحياة . يمكن تهيئة الراحة لهما بتقليل عمل الجسم كله وتخفيفه . فنحن نتنفس فى الأحوال الطبيعية ١٨ مرة فى الدقيقة وقد نتنفس أقل . فاذا قام الانسان منا برياضة بدنية زادت مرات التنفس . واذا كانت الرئة مريضة والمريض محموماً غير مستعين بالراحة فقد تزيد مرات التنفس الى ٢٦ أو اكثر فى الدقيقة . فاذا كانت المرات الاعتيادية ١٨ فى الدقيقة فهى ١٠٨٠ فى الساعة وهى ٢٥٩٢٠ فى اليوم. أما اذا كانت مرات التنفس فى المريض ٢٦ فى الدقيقة بزيادة ٨ مرات فالزيادة فى الساعة ٤٨٠ وفى اليوم ١١٥٢٠ فكأن المريض يتنفس ١١٥٢٠ مرة فى اليوم تنفساً بغير فائدة

وللراحة شأن عظيم فى عمل القلب . فهو فى الحالة الاعتيادية يضرب

٧٢ ضربة فى الدقيقة تقريباً . فاذا كان الانسان مسلولاً محموماً فقد تصل الضربات الى ١٠٢ فى الدقيقة وبزيادة ١٨٠٠ ضربة فى الساعة وبزيادة ٤٣٢٠٠ فى اليوم . فاذا أبطأت الدورة الدموية بالراحة قل انتشار سموم المرض فى الجسم وقل امتصاصها وبذلك تحسن شهوة العليل ويقل سعاله وتزول حماه . وقد يلوح لك أيها القارئ أن العلاج بالراحة سهل إذ يكفى أن يصف الطبيب للمريض الراحة فتحدث فوائدها لكن لابد للشهد من ابر النحل فالراحة التامة فى الفراش تشق على النفس كثيراً ولا سيما إذا طال أمرها اكثر من سنة أو سنتين ولا شك أن كل ذلك هين فى سبيل استرداد الصحة

وقد لا يطرد شفاء الرئة بهذه الراحة البسيطة فى الفراش . وقتئذ لابد من الالتجاء الى الطريقة التى نحن بصددها وهى ادخال الهواء أو الغاز فى تجويف البلورا فى الناحية المصابة. ويقصد بذلك الى ضغط الرئة المصابة فتمحى الأجزاء المريضة والكهوف التى فيها . وبذلك تقل السموم الصادرة من هذه الأجزاء الى سائر الجسم . وبذلك تخف وطأة المرض فتزول الحمى ويشعر بتقدم صحته كثيراً . والرئة التى عولجت بهذه الطريقة تبقى منكمشة فى أغلب الأحوال بضع سنين مستريحة عن عملها راحة قسرية فتلتحم الأجزاء المصابة وتزداد مقاومة الجسم كله للمرض . فاذا عادت الرئة بعد حين إلى حالتها الأصلية وقلما تعود كان المريض أشد قوة واكثر مقاومة . ومن حسن المريض ألا تعود الرئة بعد انتهاء العلاج الى حالتها الأصلية لأنه يمكنه أن يستأنف أعماله فى ميدان الحياة برئة . ولا تصح المعالجة بهذه الطريقة اذا سرى المرض الى الرئة الثانية وأخذ فيها مأخذاً عظيما . وكذلك لا تصح المعالجة بها إذا وجدت التصاقات بلوراوية فى الناحية المصابة فانها تحول دون

انكماش الرئة . وقد تغلب القوم على الصعوبة الأخيرة بطريقة جراحية تتلخص فى استئصال أجزاء كبيرة من أغلب الأضلاع أو كلها فى الناحية المصابة لكى يهبط الجدار الصدرى فى هذه الناحية فتهبط الرئة منكمشة ويتم الغرض الذى يتم بادخال الهواء . وهى طريقة حديثة أيضاً ولم تعمل فى مصر لسوء الحظ

ويصح لاتمام المقال أن أتم أخبار الرحلة . فقد ركبت الباخرة ايطاليا من جنوى راجعاً الى مصر وكلى شوق اليها لأن لها وحشة لا يشعر بها إلاَّ من غاب عنها وكان من أبنائها المخلصين . ولما ابتعدنا عن جنوى واختفت معالمها عنا شاهدنا باخرة قاصدة اليها وكانت لا تبعد عنا فى سيرها إلا بقدر ما تبعد الوحدة عن الأخرى فرأيت الركاب فى الباخرتين وقد تبادلا التحية والوداع بالمناديل فقلت فى نفسى هذه هى جامعة الغربة التى أشار اليها القائل :

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم وصلنا الى نابولى وكان على الباخرة أن تنتظر على ميناءها وقتاً غير قصير فوقفت فى أثنائه على سطحها أشاهد النازلين منها والصاعدين اليها فرأيت قسيساً يصعد إلى الباخرة ومعه حقائبه فعرفت أنه من المسافرين معنا . وبعد قليل رأيت شيخاً ومعه حقائبه أيضاً فتذكرت ما قرأته فى جريدة السياسة الغراء تحت عنوان «مذكرات مسافر» لكاتب قدير وعالم فاضل مما يتلخص فى أن الكاتب قد خرج ذات يوم وهو فى اكس ليبان للنزهة حول بحيرة انسى فركب سيارة مع قوم آخرين فلازمهم النحس فى هذه النزهة وصادفتهم حوادث مكدرة انتهت بسقوط عجلة من السيارة لتطاير مساكها وهم بعيدون عن المدينة مما اضطرهم إلى الرجوع اليها على الأقدام

قال الراوى : « وعندئذ سقطت عجلة كان مساكها قد تطاير ولم يصب أحد بأذى لكننا بعيدون عن المدن وإصلاح السيارة يحتاج الى أدوات لا توجد إلا فى مدينة فلنذهب الى انسى مشاة . سار الركب ولا بد أن يتحدث السمار فسمعت سيدة تقول لصويحباتها لم يكن مقروناً باليمن طالع هذه النزهة . قالت الأخرى ألا يكون معنا قسيس من حيث لا ندرى . وجعلت السيدات يتصفحن وجوه الرجال متضاحكات . قال الشيخ هناك تذكرت قول شيخ الأزهر :

الشيخ والقسيس قسيسان وإن تشأ فقل هما شيخان

فتصببت عرقاً وأخذت ألوى وجهى وأصرف ملامحه وأصد عن تلك النظرات اللاعبة مخافة أن يصبح لعبها جداً ثم قلت فى نفسى هنيئاً للشيخ على عبد الرازق قد خلصه الله من الشؤم فى نظر السيدات »

تذكرت هذه القصة فتشاءمت وقد صدق من قال « الشؤم عند التشاؤم » لأن الباخرة لم تكد تترك نابولى حتى جاش بنا البحر وعصفت الرياح عصفاً شديداً فصارت السفينة تميل ذات اليمين وذات اليسار صاعدة عند مقدمها هابطة عند مؤخرها فاختفى الركاب فى حجراتهم وانقطعت جوقة الموسيقى عن عملها فى ميعاده ولم يحضر الطعام فى وقت الطعام الا نفر قليل ولبثنا فى هذه الشدة نحو أربع وعشرين ساعة فقضيت ليلة كانت فى العمر ليلة خوفاً واضطراباً . وبعد ذلك سكن الهواء والماء سكوتاً غريباً وسارت السفينة سيراً لا يكاد الانسان يشعر به حتى وصلنا بالسلامة الى الاسكندرية فقلت فى نفسى ألا يكون هذا الهدوء فى الهواء ببركة هذين القسيسين

أو الشيخين ؟ فان صح ذلك كان نفعهما اكبر من إثمهما و يمنهما أعظم من شؤمهما والله أعلم

ولا ريب أن من تتبع هذه المقالات ، ووقف على ما ذكرته من عيو بنا ونقائصنا ؛ وهى ليست يسيرة ، وقابل بينها و بين مزايا القوم وفضائلهم ؛ وهى كثيرة ، وأدرك العقبات التى تعترض القائمين بالاصلاح والطالبيه ، وما مشروع بناء مستشفى قصر العينى ببعيد أقول إن من فعل ذلك لا شك يعذرنى اذا قلت للمصريين عامة وللأطباء خاصة فى تواضع واحترام إنما أعظكم بواحدة ألاَّ تحسبوا أنفسكم أيقاظاً وأنتم رقود ، وألاَّ تحسبوا انفسكم سائرين الى الأمام وأنتم قعود

﴿ انتهى ﴾

طب البيت

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

جدير بهذا الكتاب أن يدعى مرشد العليل ودليله يحدثه عن أسباب مرضه وأعراضه وسائر أدواره ويبين له طريقة علاجه . ولقد تناول المؤلف فيه أكثر الأمراض شيوعاً فشرحها شرحاً وافياً يقربها من الأذهان . وهو يغنى العائلة فى غيبة طبيبها . وقد قررته وزارة المعارف العمومية فى عموم المدارس الأميرية وعموم مجالس المديريات والمدارس الأهلية

ثمن النسخة ١٥ غرشاً صاغاً وأجرة البريد ثلاثة غروش

الإسعاف الأولى

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

يحتوى هذا الكتاب على كل ما يجب معرفته من وسائل الاسعاف للرضوض والجروح والنزف ، وكسر العظام ، وخلع المفاصل ، والحرق ، والسلق ، والكى ، والأجسام الغريبة فى الأذن والعين ، وفقد الادراك والشعور ، ولدغ العقرب ولسع الثعبان والزنبور وعض الكلب وصدمة الكهربائية والمغص الكلوى والكبدى ، والمعوى ونقل المرضى والمصابين وتمريضهم . وقد قررته وزارة المعارف العمومية فى عموم المدارس الأميرية وعموم مجالس المديريات والمدارس الأهلية

ثمن النسخة ١٢ غرش صاغ وأجرة البريد ثلاثة غروش

أغلاط الجراحين

وحوادث الجراحة

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

يقع هذا الكتاب فى نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير شرح المؤلف فيه الأغلاط التى قد يقع فيها الجراح فى أثناء تشخيصه الأمراض الجراحية أو فى أثناء العمليات . وذكر فى سياق الكلام كثيراً من الأمثلة والشواهد والحوادث التى وقعت من هذا القبيل والتى تمثل أغلاط الجراحين تمثيلا تاماً حقيقياً وشفعها بالملاحظات الدقيقة والتعليلات الطبية الصحيحة

وفى الكتاب شرح واف لكل الحوادث والحالات التى قد تطرأ على المريض قبل العملية وبعدها . وخلاصة القول أن هذا الكتاب هو أتمن وأتم كتاب ظهر فى هذا الموضوع العظيم الشأن ثمنه خمسون قرشاً صاغاً وأجرة البريد أربعة قروش صاغ

الصور الخيالية

لجسم الانسان

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

كتاب فريد فى بابه يشتمل على بحث دقيق شامل لجميع أعضاء الانسان الظاهرة والباطنة كالحواس الخمس والقلب والرئتين والكبد والمعدة وغيرها ووصف مسهب لدورة الدم والتنفس وهضم الطعام . والكلام فيها جميعها مسبوك فى قالب صور خيالية شفافة تسهل على الناظر فيها أن يتبين ما تضمنته من الحقائق العلمية والطبيعية ويخيل الى مطالعه أنه يتلو قصة شائقة ذات حوادث مدهشة أو يطالع وقائع حرب ناشبة فيلهو بها متفكهاً متسلياً بلا سأم ولا عناء . وهذا الكتاب فى ٢٥٠ صفحة مطبوع أجمل طبع على أحسن ورق ومزدان بنحو مئة وخمسة عشر رسماً متقناً وانحاً

ثمن النسخة ١٥ قرشاً وثلاثة قروش أجرة البريد